الفصل الأول
القرضاوي : السيرة الشخصية والحياة الدعوية

١ - التعريف بالقرضاوي :

هو الداعية العلاّمة ، الفقيه المعلم ، الأصولي المفسر ، الحركي المربي ، الشاعر الأديب ، الداعية المرشد ، المثقف الأكاديمي ، الكاتب الناثر، العالم الإسلامي ، المحاور المناظر ، الناقد الناصح : يوسف بن عبد الله بن يوسف بن علي القرضاوي ، ترجع أصوله إلى بلدة تسمى «القرضة» التابعة لمحافظة كفر الشيخ .

٢ - مولده :

ولد الشيخ القرضاوي حفظه الله في غرة ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثلاثمئة وألف من هجرة المصطفى ﷺ ، الموافق التاسع من ديسمبر سنة ست وعشرين وتسعمئة وألف (٩ / ٩ / ١٩٢٦ م) في «صفط تراب» إحدى قرى مركز المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر المحروسة .

وتعد «صفط تراب» هي «سفط القدور» التي دفن بها الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث [١] آخر الصحابة موتاً بمصر سنة ٨٦هـ ، وقد ربط الشيخ بين القرية والصحابي الجليل بأبيات قال فيها :

بعبد الله أشرقت الروابي ... وبوركت السهول مع الهضاب
صحابيَّ الرسول جزيت خيراً ... عن الإسلام يا نعم الصحابي

---

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدى كرب الزبيدى ، سكن مصر وتوفى بها بعد أن عمّر طويلا ، وكانت وفاته عام ٨٦ هـ ، انظر : الاستيعاب ابن عبد البر ج ٣ ص٨٨٣ ط دار الجيل ط ١٤١٢ هـ .

إلى أن قال :

وأسلم أهل صفط على يديكم ... ودانوكم بصهر واقتراب
وعشت بها ومت بها هنيئاً ... لها بك من جوار مستطاب
وحُقَّ لصفتنا بك أن تسمى ... بصفط التبرِ لا صفط التراب [1]

٣ - يُتِّم مبكرا :

ولم يلبث والد الطفل يوسف أن وافته المنية ، وهو في الثانية من عمره ، فكفله عمه أحمد ، فكان له أباً حنوناً ، ووالداً عطوفاً ، وكان عمه أحمد رجلاً ملتزماً التزاماً فطريا كأهل القرى آنذاك ، يصلي الصلوات الخمس في المسجد ، وعلى الرغم من كون عمه أحمد فلاحاً ، إلا أنه كان يحكي له بعض القصص المسلية ، والألغاز المحيرة ، والنكات الضاحكة ؛ وهذا مما ينمي في الطفل الذكاء ويقويه .

وعاشت أم الطفل يوسف مع ابنها في بيت أبيه ، وكانت رحمها الله تعتني به كما تعتني الأم العطوف بولدها ، وظل الأمر كذلك حتى وافتها المنية وهو في الخامسة عشرة من عمره ، فأصبحت خالاته كلهن أمهات له بعد أمه ، وهو ولد لهن جميعاً .

٤ - القرضاوي في الكُتّاب :

يعد الكتّاب مزية من المزايا التي توارثها الريف المصري على مرور الزمن ، وهو أشبه بقاعة متوسطة لا بالكبيرة ولا بالصغيرة ، تعج بمئات الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة إلى السادسة عشرة تقريبا، تتفاوت قدراتهم في الحفظ والتحصيل والفهم والذكاء ، فهم لذلك في عشرات المستويات، كل واحد منهم قد عكف على «لوحه»[2] أو انكفأ على مصحفه، مردداً أو مكرراً أو مراجعاً أو مرتلاً، ويستطيع المار على مسافة طويلة أن يسمع هدير التلاوة، لكنه

---

(١) انظر : « ابن القرية والكتاب » ج١ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) عبارة عن قطعة من الخشب أو الألمونيوم أو غيرها يكتب عليها الطفل الجديد من الحفظ .

لا يستطيع أن يميز تلاوة من أخرى ، وخير ما يوصف به أنه دوي كدوي النحل ، تتخلله آهات مضروب ، أو استغاثة غير مجيد .

ولقد التحق الطفل يوسف بالكتاب ، وتعد هذه هي المرحلة الأولى من مراحل تعليمه ، حيث التحق بكتاب الشيخ « حامد أبو زويل » ، بعد هروبه من كتاب الشيخ « يماني مراد »، إثر ضرب الشيخ « يماني مراد » لجميع طلاب الكتاب لتنشيطهم ، وكان الطفل يوسف في أول المضروبين ، فقرر أن يكون من الهاربين .

بيد أن أمه رحمها الله ذهبت إلى كُتاب الشيخ « زويل » وأوصته به خيراً ، فحظى الطفل يوسف لدى شيخه بمعامله طيبة ، واستقبال حسن ، و أحسن الطفل يوسف بعد ذلك استخدام هذه المعاملة ، وهذا الاستقبال ، فأعفي بعدها من نفقات الكتاب « نصف قرش مصري » أسبوعياً ، لأمرين : أولهما : يتمه ، وثانيهما : نجابته .

وبدأ الطفل يوسف حفظ القرآن فبدأ الحفظ من سورة « الناس » « منكساً »؛ وهي طريقة الكتاتيب عموماً ، ويستحسن الناس هذه الطريقة لقصر السور ، وسهولة حفظها ؛ تماشياً مع قدرة الأطفال والغلمان ، فلما أتمّ الطفل يوسف سورة « النجم » انتقل به شيخه إلى سورة « الأنعام » ، ومنها انطلق إلى سورة البقرة فلما ختمها أقيمت له حفلة صغيرة ، إذ أن ختم سورة « البقرة » يُسمى عند أهل الكتاتيب بالختمة الصغيرة .

ثم عاد الطفل يوسف ليبدأ من « الأعراف » حتى وصل إلى « الكهف »، وأوقفه شيخه ليثبت حفظه ، ويطلق أهل الكتاب على هذا « مراجعة الماضي » ، وسافر الطفل يوسف مع عمه إلى القاهرة وانقطع عدة أيام ، توالت مع الخوف لتصل إلى عشرة شهور، ، وأصر عمه أحمد بالعودة إلى الكتاب فعاد إلى أن أكمل القرآن كله[1].

---

(١) انظر : المرجع السابق ج١ ص ١٢٢ وما بعدها.

٥ ـ القرضاوي في معهد طنطا الأزهري :

لما بلغ الطفل يوسف السابعة من عمره التحق بالمدرسة الحكومية ، وكان يواظب على الكتاب في الصباح ، والمدرسة في المساء ، واستطاع بهذا أن يجمع بين خيري الكتاب والمدرسة ، ولما أتم الطفل يوسف المرحلة الإلزامية ، انقطعت به السُبُل ، وظل حائراً يبحث عن مستقبل له .

وكان للطفل يوسف أمنية غالية ، وهي : دخوله الأزهر ، ولكن صورة «الأزاهرة» وقتها كانت له بالمرصاد ، فكان أحدهم يتخرج من الأزهر بعد دراسة استمرت خمسة عشر عاماً ، ليظل عاطلاً جليس « المصاطب » إلا من رحم ربك وقليل ما هم ، وظل الطفل مدة بين سفرات خاله التجارية حيناً ، وبين عمه وأولاد عمه في أعمالهم الزراعية حيناً آخر ، وفي يوم أرسل الله شيخاً معمماً طالباً منهم شربة ماء ، فلما شرب طلب منه العم أحمد أن يمتحن الطفل يوسف في القرآن ، فأعجب الشيخ المعمم من الطفل حفظه وتلاوته ، ثم أقنع عمه بالذهاب بيوسف إلى الأزهر وقد كان[١] .

٦ ـ الظروف السياسية التي عايشها :

كانت ولادة الطفل يوسف في منتصف العقد الثالث من القرن المنصرم «العشرين»؛ وفي هذه الحقبة من الزمن مرت مصر وغيرها من بلاد الإسلام بأحداث جسام ، وأهوال عظام ، وكانت أولى هذه المصائب في أخريات القرن التاسع عشر ، حيث وقع العالم الإسلامي فريسة للاحتلال الغاشم، فوقعت الهند في عام ١٨٥٩م ، ومنطقة الخليج وجنوب شبة الجزيرة العربية في عام ١٨٤٩م ، ومصر في ١٨٨٢م ، والسودان في ١٨٩٨م تحت الاحتلال الإنجليزي.

وقامت فرنسا هي الأخرى باحتلال الجزائر في عام ١٨٣٠م ، وتونس في ١٨٨١م، ثم المغرب في ١٩١٢م .

وسيطرت روسيا على المجتمعات الإسلامية في وسط آسيا وهي أذربيجان

---

(١) انظر: المرجع السابق ج١ ص ١٤٧ وما بعدها .

وكازاخستان ، وأوزباكستان وتوركيستان ، وكزيخستان ، سيطرة تامة في القرن التاسع ، ولم يسلم من الاحتلال الروسي سوى اليمن والحجاز وإيران ووسط تركيا[1].

ثم كانت الفجيعة الكبرى عام ١٩٢٤م حيث سقطت الخلافة الإسلامية ، أو قل: أسقطت الخلافة الإسلامية ، وانفرط عقد الخلافة إلى دول بل إلى دويلات، ورثى شوقي وقتها إسقاط الخلافة فقال :

عادت أغاني العرس رجع نواح	ونُعيتِ بين معالم الأفراح
كُفّنت في يوم الزفاف بثوبه	ودفنت عند تبلج الإصباح
ضجت عليك منابر ومآذن	وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة	تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس	أمحا من الأرض الخلافة ماحِ

في الآونة هذه؛ كانت مصر ترزح تحت احتلال غاشم كافر ، وقصر متسلط ظالم ، وملك ماجن خائن ، وفي أحسن أحواله منحل لاهٍ ، وصراعات سياسية بين أحزاب مادية متصارعة نحو السلطة، توجهها في الغالب منافع شخصية، أو طموحات مادية ، بعيدة كل البعد عن الوجهة الوطنية ، أو النزعة الإسلامية، إلا في القليل النادر .

وأصبح الشعب المصري لا يملك من أمره شيئاً ، ملك يخلع وغيره ينصب، وألقاب تذهب وأخرى تتجدد ، فتارة يولّى عليها ملك، وأخرى سلطان، وثالثة خديوي ، وهي لا تعرف ذلك إلا من الجرائد إن وجدت ، وفي الأغلب من العملات المالية التي لا تقع في يد الشعب إلا بعد الكد والتعب .

وقد استطاع الغازي أن يجبر الناس على تقليده ، بعد أن غزاهم بمظاهره الفاسدة، وجرائيمه القاتلة ، من تهتك فاضح ، وعري ظاهر .

---

(١) انظر : في الغزو الفكري د : أحمد عبد الرحمن السايح وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر ١٩٩٣م ص ٥٣ .

وزاد الطين بلة أن ظهر للمنصرين صوت عال ، وكلمة مسموعة ، وأثار تظهر أحياناً وتختفي في بعض الأحايين .

ومن الأحداث التي عاصرها أيضاً الحرب العالمية الثانية ، وحرب فلسطين ، وثورة يوليو ١٩٥٢م ، وقيام إسرائيل، ونكبة ١٩٦٧م ، والطفل يوسف يشب مع هذه الأحداث يراها ويسمعها لكنه ليس بمعزل عنها ولسان حاله يقول :

قلبي يحس وهذه عيني ترى ما حيلتي فيما أحس وما أرى ؟

بل لقد انخرط الشيخ حفظه الله في هذه الأحداث منذ أن كان طالباً بقلبه ولسانه وعقله وحياته وعبّر عن كثير من هذه الأحداث في كتاباته وأشعاره .

وقد كانت للشيخ قصيدة هاجم فيها المحتل الغاشم ، لم يبق منها سوى أبيات يقول في مطلعها :

غنى فأشجى السامعين وهاموا ليت المغني نائحٌ لطّام
يا أيها الأضياف لا أهلاً ولا سهلاً ولا ترحيب لا إكرام
الضيف إن مرت عليه صبائح يثقل وقد مرت لكم أعوام
غصت مساكننا بجند كمو كما غصت قطارات وغص «ترام»
وغذت بطونكم غلال بلادنا وبنو البلاد من الطوى قد صاموا
وعدت مصانعنا تحوك للبسكم والعري فينا قاعد قوّام
إن القِرى إن لم يكن بسماحة فالسمن سُمٌّ والحَمَام حِمَام[1]

٧ ـ انخراطه في الحركة الإسلامية[2] :

بعد سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م ، وانفراط عقدها الذي كان يجمع بلاد الإسلام ؛ ظهرت دعوات خبيثة ما نبتت في أرض الإسلام ، ولكنها

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٢٥٨، ٢٥٩ .

(٢) الحركة الإسلامية : هي ذلك العمل الشعبي الجماعي المنظم للعودة بالإسلام إلى قيادة المجتمع ، وتوجيه الحياة . انظر : أولويات الحركة الإسلامية د. يوسف القرضاوي ص ٩ وما بعدها .

نبتت بعيداً عن تربته، وتغذت بماء خبيث ، تنادي بفصل الدين عن الدولة ، وكان في المقابل هناك أصوات تتعالى بالعودة إلى الإسلام ، وربط الأبناء بالأجداد، وكان من أثار ذلك ثورة الشباب المسلم وإصراره على القيام بشيء لإنقاذ الإسلام من موجة التيارات المعادية التي اجتاحته أن قام في مصر عدد من الجمعيات الدينية ، فأنشأت جمعية الشبان المسلمين في مصر عام ١٩٢٧م ، وقامت جماعة « الإخوان المسلمون »[١] في ١٩٢٨م[٢].

وامتازت جماعة « الإخوان المسلمون » عن الجمعيات التي وجدت وقتها بكونها تمثل الإسلام بشموله ، كما كانت تتوفر لديها مقومات الدعوة المكتملة وهي :

١ – أن تكون الحاجة داعية إليها .

٢ – أن تكون متميزة .

٣ – أن ترزق بقيادة واعية حكيمة .

٤ – أن يهيأ لها جنود مؤمنون برسالتهم .

٥ – أن تكون أهدافها واضحة .

٦ – أن تكون وسائلها لتحقيق غاياتها واضحة .

٧ – أن تكون مواقفها من القضايا الكبيرة واضحة بينة[٣].

ولما كان الطالب يوسف في المعهد الأزهري بطنطا ؛ فقد بدأت أسماعه

---

(١) الإخوان المسلمون : كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة ، هدفها تحكيم الكتاب والسنة ، وتطبيق شرع الله في شتى مناحي الحياة ، والوقوف بحزم أمام سياسة فصل الدين عن الدولة ، والعمل لإعلاء كلمة الله في الأرض من خلال حركة عالمية تبعد عن مواطن الخلاف ، وتُكَوِّن الشباب عبر هذه الدعوة الربانية لإصلاح أنفسهم وبيئاتهم ، أسست الحركة على يد حسن البنا في عام ١٩٢٨ م ، وللجماعة انتشار واسع في معظم دول العالم ، كما أنها لها أثر واضح في شتّى مناحي الحياة ، وأهم خصائص الجماعة الربانية والعالمية والإسلامية . انظر : الموسوعة الميسرة ج١ ص ٢٢ وما بعدها ، والإخوان المسلمون سبعون عاماً د. القرضاوي ، والإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة . وغيرها ....

(٢) انظر : الإخوان المسلمون « الجماعة الإسلامية في الحياة السياسية المصرية » د: زكريا سليمان بيومي مكتبة وهبة ط الأولى ١٩٧٩م ص ٦٧ .

(٣) انظر : الإخوان المسلمون د: يوسف القرضاوي ص ١٠ .

تتفتح على «الإخوان المسلمون»، وقائدهم الإمام الشهيد حسن البنا -رحمه الله - وقد استمع الطالب يوسف إلى الإمام الشهيد في حديث عن الهجرة في جتمعية «الإخوان المسلمون» في طنطا وهو في المرحلة الأولى من المرحلة الابتدائية، ولكن الانضمام الفعلي للجماعة كان في السنة الرابعة، وكان الشاب يوسف وقتها قد عرف بشاعريته ، فدعاه شباب الإخوان لإلقاء قصيدة في افتتاح الموسم الثقافي ، فألقى الشاب يوسف قصيدة قافية القافية منها قوله :

قلبي يحس برحمة تتدفق ويرى الملائك حولنا قد أحدقوا

وسُئل الشاب يوسف لماذا لا ينضم إلى الإخوان ؟

فقال : وكيف ؟

قالوا : تملأ استمارة فملأها .

وإن كان الشيخ يعتبر نفسه واحداً منهم منذ أن سمع الإمام الشهيد في السنة الأولى[1].

ومرت الأيام والطالب يوسف تزداد قدمه رسوخاً لدى الجماعة ، ونظراً للجانب الخطابي[2] الذي عرف به الطالب يوسف مبكراً فكان عليه أن يعمل في قسمين من أقسام الجماعة في آن واحد :

القسم الأول : قسم الطلاب حتى غدا زعيماً للطلاب في السنة الثالثة والرابعة والخامسة بالمعهد الأزهري .

القسم الثاني : قسم الدعوة ، ومن خلال هذا القسم فُتح المجال للداعية الصغير أن يجوب قرى مصر في محيط محافظة الغربية، وما جاورها من المحافظات كالمنوفية والدقهلية والشرقية وغيرها .

---

(١) ابن القرية والكتاب ج١ ص ١٧٧ ، وانظر : لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر ج ٢ ص ١٠٢ .

(٢) سنتحدث قريباً عن الجانب الخطابي لدى الشيخ .

وقد استطاع الداعية الموفق أن يثبت أقدامه حتى غدا سفيراً للجماعة في خارج مصر ؛ وكانت أولى هذه الرحلات إلى بلاد الشام في أغسطس عام ١٩٥٢م ، فزار خلالها بيروت، ومنها انطلق إلى دمشق، ثم حمص، ومنها إلى حماة، ثم إلى عمان بالأردن ، ثم إلى مدينة الخليل بفلسطين ، ومنها انطلق إلى القدس ومخيمي الكرامة وعقبة الجبر(١).

والحق أن انخراط الشاب يوسف في الحركة الإسلامية متمثلة في جماعة «الإخوان المسلمون» عاد بإيجابيات متعددة لشخصيته ؛ فهم وإن جندوه لخدمة الدعوة وخدمة الإسلام ، فقد كان لهم الفضل عليه.

والشيخ لا ينكر ذلك بل يقول مؤكداً هذا الفضل : وأود أن أقول بكل صراحة وجلاء : إنني حققت مكاسب دينية كبيرة ، واجتنيت فوائد جمّة بانضمامي إلى دعوة الإخوان منها :

١ – أنها وسعت أفقي بفهم الإسلام فهماً شاملاً ، كما شرعه الله تعالى .

٢ – أسقطت عني فريضة العمل الجماعي لنصرة الإسلام .

٣ – انتقلت من مجرد واعظ ديني في القرية أو القرى المجاورة إلى داعية إسلامي؛ فلم يعد همي محصوراً في الحفاظ على التدين الفردي في نفس المسلم.

٤ – انتقلت من الهموم الصغيرة إلى الهموم الكبيرة ، ومن المطامح التي تتعلق بشخصي إلى الآمال المتعلقة بأمتي .

٥ – الخروج من العزلة التي فرضت على أبناء الأزهر ، نتيجة التعليم المزدوج، فكان أبناء مصر طائفتين : «دينية» لمن يتخرج من الأزهر ، و«مدنية» لمن يتخرج من التعليم العام، وبين الفريقين حواجز ثقافية ونفسية تفصل بينهما،

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٤٦٢ وما بعدها، ولقاءات ومحاورات مرجع سابق ج٢ ص ١٠٣ .

ولا يكاد يلقى أحدهما الآخر ، فكان من فضل دعوة الإخوان أن أزالت الحواجز، وأذابت الفوارق المتوارثة بين الفئتين[1].

٨ ـ دوره في الأزهر طالباً :

يعد الأزهر جامعاً وجامعة منارة عريقة من المنارات التي أضاءت جنبات المشرق والمغرب ، ومعقلاً من معاقل الدين والعلم ، فيه يتعلم الجاهلون ، ويهتدي الحائرون ، ولله در شوقي حين قال :

قم في الدنيـــا وحي الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجوهرا
كـــانوا أجل من الملوك جـلالة ... وأعـز سلطاناً وأفـخم مظهـراً
والله ما ندوي لعل كـفيـفـهم ... يومـاً يكون أبا العـلاء المبـصـرا
هزوا القرى من كهفها ورقيمها ... أنتم لهـمـر الله أعـصاب القرى
الغـافل الأمي ينطق عنكمـو ... كـالبـبـغـاء مـرددا ومكرراً
لو قلتم اختـر للنيـابة جـاهلاً ... أو للخطابة باقـلاً لتـخـيـرا

وقد كان دخول الأزهر أمنية تلوح في الأفق بين عيني الطفل الصغير يوسف، وشاء الله أن يحقق له أمنيته بمعهد طنطا الابتدائي، ثم الثانوي ، ثم بكلية أصول الدين بالقاهرة ثم بإجازة التدريس ، ثم حصوله بعد ذلك على رسالة الدكتوراه .

بيد أن الطالب يوسف والشيخ الصغير استطاع أن يثبت أقدامه بين طلاب الأزهر كشاعر وزعيم وخطيب ؛ قبل أن يبزغ نجمه بعد ذلك بين علماء الأزهر كعالم وفقيه ومفكر وداعية .

عمل الطالب يوسف في المرحلة الابتدائية ممثلاً لطلاب مرحلته لكنه ظهر فعلياً في المرحلة الثانوية ، ذلك أن طلاب هذه المرحلة كانوا يعدون صوت الأمة الحي ، ولسانها المعبر ، وساعدها القوي ، وكان للمعهد الأزهري في المرحلة الثانوية زعامة ، كلما ارتحل زعيم خلفه غيره ، ولما كان الشيخ في السنة الثالثة

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٣١٤ وما بعدها .

آلت إليه زعامة المعهد، وكذلك في السنة الرابعة ثم في السنة الخامسة حتى كان حلّ جماعة «الإخوان المسلمون». وقد جمع الطالب يوسف بزعامته للمعهد حب المدرسين لتفوقه في دراسته ، وحب الطلاب بما كان يملك من مواهب تؤهله لذلك ؛ كالخطابة والشعر وغيرهما ، بل كانت زعامته ترشيحاً من الطلاب أنفسهم .

وقد شارك الطالب يوسف بزعامته للمعهد الثانوي في مؤتمرات منها ما كان في طنطا ، ومنها ما كان في شبين الكوم ، وقد كان له ولزملائه في مؤتمر طنطا مطالب منها :

١ – إدخال اللغة الإنجليزية إلى معاهد الأزهر .

٢ – فتح باب الكليات العسكرية والمدنية أمام حملة الثانوية الأزهرية .

٣ – فتح معاهد للبنات فهن نصف المجتمع .

٤ – فتح باب الدراسات العليا ، وتعيين معيدين بكليات الأزهر .

٥ – التوسع في إنشاء المعاهد الأزهرية .

٦ – تطوير مناهج العلوم الدينية والعربية بما يتلاءم مع روح العصر .

وبعد انتقال الطالب يوسف إلى الجامعة ازداد نشاطه وتعددت أعماله المنادية بإصلاح الأزهر ، ولما كان في السنة الثانية من كلية أصول الدين أنشأ الطلاب اتحاداً للكلية ترأسه وقتها الطالب «مناع القطان»[1] ولما تخرّج «مناع القطان» ، أُسندت رئاسة اتحاد الطلاب إلى الطالب يوسف . ومما يذكر له في الجامعة ثلاثة أمور :

---

(١) مناع القطان : هو الداعية الإسلامي البارز مناع بن خليل القطان من مواليد قرية شنشور إحدى قرى محافظة المنوفية بمصر عام ١٣٤٥ هـ ١٩٢٥م ، التحق بالأزهر وحصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين ثم نال إجازة التخصص عام ١٩٥١م . عمل بالتدريس في مصر ، وبعد نشوب العداوة بين رجال الثورة وجماعة الإخوان سافر إلى السعودية وعمل أستاذاً بجامعة الإمام محمد بن سعود وغيرها ، له ولع بالتفسير وعلومه ، ومن أشهر كتبه : مباحث في علوم القرآن ، توفي عام ١٤٢٠ هـ . انظر : علماء فقدناهم إدارة الدعوة قسم الدعوة والإرشاد بقطر ص ٣٣ وما بعدها .

الأول : مؤتمر سنة ١٩٥٣م ، وكان الطالب يوسف وقتها في تخصص التدريس وحضر المؤتمر أبناء الكليات الثلاث (أصول الدين والشريعة واللغة العربية) ومعهد القاهرة ومعهد البحوث ، وكان هو المتحدث والمفتتح للمؤتمر ، ابتداه بقصيدة رائية القافية وفيها يقول :

صبرنا إلى أن ملّ من صبرنا الصبر وقلنا : غداً أو عده ينجلي الأمر !
فكان غد عاماً ولو مُدّ حبله فقد ينطوي في جوف هذا الغد الدهر !
وقلنا : عسى أن يدرك الحق أهله فصاحت «عسى» من «لا» و«لا» طعمها مر !

وقد تحدث الطالب يوسف فيها عن مطالب « الأزاهرة » وتطلعاتهم الدينية والعلمية والأدبية والاجتماعية [١].

الثاني : كتيبة الأزهر : وهي كتيبة أعدت من طلاب الأزهر للذهاب إلى فلسطين واختير وقتها قائداً لهذه الكتيبة الطالب «عبد العزيز خالد» ، وقام المعسكرون بالتدريب عسكرياً وإيمانياً ، وأقام طلاب الجامعة حفلة توديع للكتيبة في قاعة الإمام «محمد عبده» تحدث فيها عدد من الشيوخ والدعاة ، وكانت كلمة المعسكر وشباب الأزهر للطالب يوسف، فقام مرتجلاً كلمته وختمها بقصيدة من قصائده وكان مطلعها:

دع المداد وسطر بالدم القاني وأسكت الفم واخطب بالفم الثاني[٢]

الثالث : لجنة البعث الأزهري ، وهي مجموعة من شباب الأزهر آلوا على أنفسهم أن يرفعوا صرح الأزهر عالياً أو يموتوا تحت أنقاضه ، وكان من أهم أهداف هذه اللجنة :

١ ـ المساهمة في إيقاظ الوعي الإسلامي ، وتكوين جيل جديد يفقه الإسلام ، ويعمل به ، ويجاهد في سبيله .

٢ ـ جمع أبناء الأزهر من خريجيه وطلابه نحو هذا الهدف .

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٤٥٠ وما بعدها.
(٢) انظر : المرجع السابق ج٢ ص ١٨ وما بعدها.

٣ – إصلاح أوضاع الأزهر.

٤ – تأمين مستقبل الثقافة الإسلامية المهددة، وإيجاد الينابيع الدائمة التي تصب في الأزهر.

وقد كان الطالب يوسف عضواً في هذه اللجنة، وكلفه أعضاء اللجنة بإعداد الرسالة الأولى التي تعرف الناس بهذه اللجنة، وقد كتبها الطالب يوسف تحت عنوان «رسالتكم يا أبناء الأزهر» وقد عرضها وقتها على الشيخ «محمد الغزالي» والأستاذ «عبد العزيز كامل» فسرا بها وأثنيا عليها خيراً، وذهبت الرسالة إلى المطبعة، لكنه لم يكتب لها الظهور إلى النور بسبب اعتقالات ١٩٥٤م التي حلّت بالإخوان، لكن ضمنها الشيخ في كتابه الذي أصدره عن الأزهر بعنوان «رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد»[١].

٩ – دوره في الأزهر مصلحاً:

منذ أن وطأت قدم الطالب يوسف أعتاب الأزهر وأمانيه وطموحاته لا تنفك عن خاطره، وقد صرح بإحدى أمانيه وهو في الصف الأول الثانوي، حيث دخل عليهم مدرس حصة إضافية فسأل كل طالب عن أمانيه وأحلامه، فكانت ما بين ضابط أو مدرس أو عالم، ولما جاء الدور على الطالب يوسف قال: أريد أن أكون شيخاً للأزهر[٢].

وقد كان المراد من هذه الأمنية إن تحققت إنما هو الإصلاح، لأن الأزهر كان هو محرك الثورات، وهو المرشد الديني، والرائد الاجتماعي، والمربي الروحي، والموجه الشعبي، كما أنه القائد السياسي سواء بسواء.

وكان غياب الأزهر معناه ضياع الأمة وقد قال الشاعر:

بالملح يصلح ما يُخْشَى تغيره فكيف بالملح إن حلّت به الغير ؟

ولما جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، زالت الأمنية والحلم من ذاكرة

---

(١) انظر: الكتاب المذكور ص ٧ وما بعدها.

(٢) انظر: ابن القرية والكتاب ج١ ص ٢١٠.

الشيخ ، وحين سئل الشيخ عن هذه المنية قال : أولاً قد فات الأوان من ناحية ، فأنا في الخامسة والسبعين ، ومن ناحية ثانية ، لم يعد شيخ الأزهر وحده قادراً على تحقيق ما يريده من إصلاح وتجديد ، حتى تسانده الدولة ، أو على الأقل تطلق يده : ومن لمثلي بهذا ؟.

ولكن الشيخ لم يقصر في تأدية واجبه نحو الأزهر ، ولم يبخل بالنصيحة حين تطلب ، بل وبغير طلب أيضا، وكان خوف الشيخ على الأزهر من أن يكون الأزهر مبنى لا معنى له ، أو تمثالاً لا روح فيه ، ولكنه في نصائحه أراد أن يكون الأزهر كسابق عهده إماماً يقتدى به ، وعلماً ينظر إليه ، وقائداً يحتذى به ، هادياً للحائر ، ومعلماً للجاهل ، ومبصراً للأعمى .

وقد تحدث الشيخ عن الأزهر ناقداً كما تحدث عنه مصلحاً ، والشيخ حين ينقد الأزهر لا يجعله نقدا من أجل النقد ؛ إنما يريده نقداً بنّاءً ، ولهذا قدم الاقتراحات المطلوبة ، والأطروحات المرجوة ، وقد سجل الشيخ ذلك في مذكراته عند حديثه عن المرحلة الابتدائية والثانوية ، ويمكن إجمال وجهة نظر الشيخ في إصلاح الأزهر في النقاط التالية :

● **المناهج الدراسية :**

يرى الشيخ أن الدراسة التي تفرض على الطلاب في غالبها لا تتعلق بالحياة الواقعية ، ففي العقيدة مثلاً ، يدرس علم التوحيد أو ما يسمى علم الكلام على طريقة المذهب الأشعري المتأثر بفلسفة اليونان ، وهذا لا يتماشى مع الطريقة القرآنية التي تقوم على مقدمات فطرية ، تتفتح بها العقول وتطمئن لها القلوب.

وفي علم الفقه يرى الشيخ ألا يدرس الفقه بطريقة ميتة بل ينبغي ربط العبادات بروح الحياة ، وتنزيل المعاملات على معاملات العصر بالصور التي يتعامل بها الناس .

وفي علم التفسير كان التفسير ولمدة قريبة مأخوذ من تفسير الإمام النسفي، والشيخ يرى أنه ينبغي أن يكون بجوار التفاسير القديمة، كتابات

جديدة، تقدم للطالب هداية القرآن ومقاصده ؛ مكتوبة بلغة عصرية سلسة ، ترد على المشكلات التي يثيرها الخصوم حول القرآن في عصرنا[١] .

وباختصار فإن الشيخ إنما يريد أن يجمع الأزهر بين الأصالة والمعاصرة ، فيحافظ على الماضي ولا ينعزل عن الحاضر .

● **المعلم الأزهري :**

كان مما يعيبه الشيخ على المعلم الأزهري وغيره كذلك ، هو غياب روح الدعوة ، يريد من المعلم الأزهري أن يكون مثلاً يقتدي به طلابه ، يعلم عيون تلاميذه الدموع ، وقلوبها الخشوع ، يقول الشيخ : فإذا كان الأزهري كغيره لا يمتاز بطرف دامع ، ولا بقلب خاشع ، ولا بعمل صالح ، فماذا بقي له من أزهريته غير العمامة و « الكاكولة » إن بقيتا ؟!

ويقول : إن الهفوة التي تصدر عن صاحب دعوة ينظر إليها الناس بالمجهر « الميكرسكوب » وزلة العالم يضرب لها الطبل ، وزلة الجاهل يخفيها الجهل ، والعظيم إذا بدت منه صغيرة كبرت ، والحقير إذا سقط في كبيرة صغرت ، ونقطة المداد في الرقعة البيضاء غيرها في الرقعة السوداء ؛ هي في الأول أظهر ما تكون وفي الثانية أخفى ما تكون[٢] .

كما أكد الشيخ على ضرورة اتصاف العالم الأزهري بالأخلاق وذكر منها على سبيل المثال أربعة : الشجاعة ، والزهد ، والإخلاص ، والعزة .

وقد كان الشيخ حريصاً على انتقاء المدرسين ؛ حتى يستطيع الطالب أن يأخذ منهم العلوم العقلية والخشية القلبية ، والتقوى لسلوكه ، والزهد لمعيشته ، والورع لتعامله[٣] .

ويريد الشيخ أن يكون الانتقاء في مدرس العلوم الدينية واللغوية ، وكذلك العلوم المدنية التي يطلق عليها الحديثة ، حتى لا يهدم مدرس الطبيعة أو الأحياء ما يقوم ببنائه مدرس التفسير أو الحديث .

---

(١) المرجع السابق ج١ص٢٢٠ وما بعدها.

(٢) رسالة الأزهر ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) المرجع السابق .

● **الطالب الأزهري :**

أتى على الأزهر عهد كان لا يذهب إليه سوى المتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا القليل النادر ، ومن ثم فإن الشيخ يؤكد انتقاء الطلاب كما هو الحال في انتقاء المدرسين ، يقول الشيخ : ولهذا كان الانتقاء ضرورة لا مفر منها ، فإذا كان الأزهر مصنعاً للدعاة ؛ فليست كل خامة بشرية صالحة لأن يصنع منها داعية، وإذا كان الأزهر بمثابة جيش الخلاص ؛ فليس كل إنسان أهلاً للتجنيد في هذا الجيش ، لا بد من شروط ، ولا بد من فرز وفحص ، ولا بد من فترة اختبار ، يستمر فيها الصالح للجندية ، ويعفى من ليس لها أهلاً .

إلى أن يقول : والحق أننا نريد مسلماً متكاملاً له عقل المسلم المتفقه ، وله قلب المسلم النقي ، وله خلق المسلم الملتزم ، وله حكمة المسلم الداعية ، وعنده إيجابيات المسلم المجاهد، ولديه ثقافة المسلم المعاصر[1].

● **الأزهر نفسه :**

والشيخ في خضم هذه المطالب التي طالب بها الأزهر ، وهذه الواجبات التي ألقاها على عاتقه ، لا ينسى أن يعد ما للأزهر من حقوق ، وعد الشيخ منها:

١ ـ أن توفر للأزهر الحرية الكاملة في أداء أمانته ، وتطلق يده في الدعوة والتوجيه حتى يقول ما يريد .

٢ ـ أن يبعد عن الأزهر سيف الإرهاب وسوط التخويف ، فالإرهاب لا ينتج إلا عبيداً.

٣ ـ أن يوفر للأزهر المال اللازم حتى يقوم بالدعوة على مستوى مصر، والعالم العربي ، والعالم الإسلامي .

٤ ـ أن يكون الأزهر عالمياً وهذا يوجب أن يكون للمسلمين رأي في توجيه الأزهر، وفي اختيار شيخ الأزهر .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٧ .

٥ ـ ألا يورط الأزهر نفسه في السياسة المحلية ، فيغدو تبعاً بعد أن كان متبوعاً[١].

تجربة الشيخ في المعهد الديني بقطر :

كان الشيخ القرضاوي كغيره من أبناء جيله، يبحثون عن الابتعاث للبلاد العربية، وكان هذا الابتعاث مشروطاً بمضي ثلاث سنوات في العمل، وكانت هذه البعثات تجمع للشيخ فائدتين:

الأولى: تحسين الوضع المادي .

الثانية: الفرار من ملاحقات المباحث وعيون المخبرين .

تقدم الشيخ القرضاوي للامتحان، فكان أول المتسابقين، واختار قطر لا لشهرتها وقتئذ، ولا لارتفاع رواتبها، ولكن لأن الشيخ عبد الله بن تركي المسئول علن العلوم الشرعية فيها كان قد طلب الشيخ من قبل، كان لا يزال حريصاً على استقدامه إلى قطر .

وكان من المقرر أن يسافر الشيخ إلى قطر في العام الدراسي ٦٠ / ١٩٦١م، ولكن حيل بينه وبين السفر، وكان سفره في ١٢ / ٩ / ١٩٦١م [٢].

المعهد الديني قبل القرضاوي :

أنشئ المعهد الديني في قطر عام ١٩٦٠م، وأنشئ من صفين: الصف الأول، والصف الثاني، وكان هؤلاء الطلاب هم أصلاً من تلاميذ معهد ديني ابتدائي أنشأ قديماً ثم أغلق، وكان الطلاب في هذا المعهد يدرسون ما يدرسه طلاب الأزهر قبل التطوير، وقد واجه الشيخ مشكلتين في أول يوم من عمله:

الأولى: سحب بعض الطلاب أوراقهم لاعتراضهم على المنهج وصعوبته، وقد أقنعهم الشيخ بالعودة.

الثانية: عدم تقدم أي طالب جديد للمعهد، فما كان من الشيخ إلا أن

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٣ـ١٢٥ بتصرف .

(٢) ابن القرية والكتاب ج٢ ص ٣٠٨ وما بعدها بتصرف.

كتب نشرة وزعت على نطاق واسع تبين أهمية العلم والتفقه في الدين، وقام هو في الجامع الكبير بعد خطبة الجمعة بإلقاء كلمة مماثلة، أتت ثمارها (ثمانية طلاب).

بداية التغيير في المعهد : كان المعهد الديني يدرس بعض الكتب فرأى الشيخ صعوبتها، مثل:

١ – شرح ابن عقيل في النحو والصرف .

٢ – شرح السلم في المنطق .

٣ – الروض المربع شرح زاد المستنقع في الفقه.

٤ – تفسير النسفي في التفسير.

٥ – صفوة صحيح البخاري .

إلى جانب إهمال العلوم والرياضيات و المواد الاجتماعية واللغة الإنجليزية[١]. هنا قام الشيخ بالتعديل والتطوير وكان كالتالي :

١ – كتاب « النحو الواضح » في النحو .

٢ – إلغاء دراسة المنطق والبلاغة وابن عقيل أو تأجيلهما إلى الثانوية.

٣ – كتاب « منار السبيل » بدلاً من « الروض المربع »[٢].

وبهذا التغيير بدأ الارتياح تجاه المعهد، وبدأ المعهد يبرز.

١٠ – أساتذته ومشايخه :

الناظر إلى الكوكبة الرائعة والمصابيح الهادية التي تلقى منها الطالب يوسف تعليمه ونهل منها علمه، يجزم قائلاً: إنه كان واجباً على القرضاوي أن يكون قرضاوياً، ولم يكن من المقبول منه أن يكون غير ذلك؛ فقد حباه الله بذاكرة قوية ، وعقل نابه ، وفؤاد نقي ، وقلب ذكي ، ثم مَنَّ الله عليه بكوكبة من العلماء لم يكن بعضهم في وقته بأقل منه شهرة في وقتنا الحاضر، وحين تقرأ

---

(١) انظر : المرجع السابق ج٢ص ٣٣٣، ٣٣٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ج٢ص٣٤٣ وما بعدها .

أسماء مشايخه تجد أسماءً رنانة ، وأعلاماً بارزة ، من أمثال الشعراوي ، والبهي الخولي ، وعبد الحليم محمود ، والغزالي ، وشلتوت، وعبد الله دراز ، وغيرهم كثير ، ولنبدأ بذكر مشايخه من بداية مشواره التعليمي :

أولاً : أهم أساتذته ومشايخه في مشواره التعليمي :

١ - حامد أبو زويل :

يُعد الشيخ « حامد » ـ رحمة الله ـ أول مشايخ الشيخ، وهو واضع أول لبنة في تعليم الطفل يوسف ، يقول عنه الشيخ يوسف : كان الشيخ « حامد » من حفاظ القرآن الكريم المحترمين ، عزيز النفس ، محتفظاً بكرامته ، وكان رجلاً نظيفاً أنيقاً.

ومما تعلمه منه الطفل « يوسف » ضبطه القرآن حفظاً وتلاوة فيقول : وكان الشيخ يعطينا بعض الضوابط في الآيات المشتبهة مثل « ضراً ولا نفعاً » و « نفعاً ولا ضراً » فحفظنا :

والنفع قبل الضر يا ذا النبأ في سورة الأعراف والرعد سبأ

ومثل عبارة اللهو واللعب فيقول :

تذكر أيها القارئ قبل أن تموت اللهو قبل اللعب في الأعراف والعنكبوت

ومثل « يزيدَهم » و « يزيدُهم » بالفتح و الضم فحفظنا :

و « يزيدَهم » يا شاطر في النور وفاطر [١]

٢ -الشيخ عبد المطلب البتة :

يقول الشيخ القرضاوي عن الشيخ عبد المطلب البتة: تخرج الشيخ عبد المطلب البتة في كلية الشريعة بالأزهر ، وكان أول دفعته ، وكان عالماً نشيطاً ذا روح قوية ، وهمة عالية ، وشجاعة في قول الحق ، مع خفة ظل، وقبول عند الناس .

---

(١) ابن القرية والكتاب ج١ص ١٢٤ وما بعدها.

بدأ الشيخ عبد المطلب بخطب الجمعة ، فقلبها رأساً على عقب ، أصبح يرتجل الخطبة ارتجالاً ، وقد عالج الشيخ عبد المطلب في خطبه أمراض المجتمع من الغش والكذب والخيانة وعقوق الوالدين .

وكان للشيخ عبد المطلب تجديدات في دروسه لا يجدها الناس في غيره ، يريد أن ينشط بها الناس ، ويجذب انتباههم ، مثل دعوته الحاضرين إلى أن ينشدوا معه كل درس هذه الأبيات :

يا رجال الله هبوا ليس غير الله رب

إن في القرآن آية وهي للعشاق طب

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبوا[1]

٣ - البهي الخولي :

البهي الخولي صاحب كتاب « تذكرة الدعاة »، هو علم بارز من أعلام الدعوة في القرن العشرين ، تعرف عليه الطالب يوسف في السنة الثانية من المعهد الابتدائي ، حيث كان يدرسه مادة المحفوظات ، ثم ازدادت صلة الطالب يوسف بشيخه البهي في المرحلة الثانوية .

يقول الشيخ يوسف عن شيخه البهي : من أهم من تعرفت عليهم في المرحلة الثانوية واتصلت بهم عن قرب ، واستفدت من حلقاته ومجالسه، والتقطت من آلائه وجواهره شيخنا الداعية الكبير البهي[2] .

وازدادت صلة الطالب يوسف بشيخه البهي حيث اصطفى الشيخ البهي مجموعة من الطلاب وكون منهم مجموعة يطلق عليها الإخوان « كتيبة »، وسماها كتيبة « الذبيح » ، وكان الشيخ البهي وقتها مسؤول الإخوان في مديرية الغربية ، وقد استطاع الشيخ البهي أن يعمق الجانب الروحي في فكر ونفس الطالب يوسف ويؤكد ذلك الشيخ فيقول : وزاد هذا الجانب « الجانب الروحي »

---

(١) انظر : المرجع السابق ج١ص ٤١٥ .

(٢) انظر : المرجع السابق ج١ ص ٢٦ .

تعميقاً في فكري ونفسي باتصالي بأستاذنا البهي الخولي ـ يرحمه الله ـ : وهو رجل ذوّاقة للمعاني الربانية، عميق الحاسة الروحية، وقد كان يرأس الإخوان في الغربية وكان له محاضراته ودروسه التي يظهر فيها الجانب الرباني، والتي تجسمت بوضوح في كتابه « تذكرة الدعاة » الذي قدّم له الشهيد حسن البنا[١].

وقد كان للشيخ « البهي الخولي » نظرة في الشيخ القرضاوي ونبوءة فيه ، حيث تنبأ للشيخ القرضاوي بمستقبل علمي ؛ قال في رسالة وجهها إلى الشيخ عبد المنعم النمر يوصيه فيها بالشاب يوسف القرضاوي « وهو شاب متواضع ، فارع العلم باهر ، إن لم يبذ شيوخ العلم وفحوله في الأزهر؛ فلن يقصر عن شأن أعلاهم شأناً »[٢].

وقد صدّقت الأيام نبوءة الشيخ « البهي » ، وقد أفصح الشيخ « البهي » عن هذه النبوءة بعد أن أهدى إليه الشيخ القرضاوي نسخة من كتاب « الحلال والحرام » فقال له : هذا الكتاب صدق نبوءتي : لقد اختلفت أنا والشيخ « الغزالي » بعد نشر قصيدتك « السعادة » ، وكان رأي الشيخ « الغزالي » أن لديك قابلية أن تكون شاعراً عظيماً ، إذا تفرغت في الشعر، وكان من رأيي أن يتفرغ القرضاوي للعلم أولى من تفرغه للشعر ، فالذي آمله إذا تفرغ للفقه أن يكون إن شاء الله فقيه العصر ، وأحسب أن هذا الوليد الجديد « الحلال والحرام » يحمل البشارة بصدق نبوءتي[٣].

٤ - الشعراوي :

يعد الشيخ الشعراوي - يرحمه الله - من أكثر الدعاة شهرة في القرن الماضي، وهو صاحب أول تفسير مرئي ومسموع ، وهو الرجل الذي استطاع أن يبسط للناس لغويات النسفي، وقصصيات القرطبي، وأحكام ابن العربي، وأدبيات سيد قطب .

---

(١) انظر : الحياة الربانية والعلم ص ٩ .

(٢) انظر : بنو إسرائيل في ميزان القرآن البهي الخولي ص٥-٨ ط الأولى دارالقلم دمشق ٢٠٠٣ م .

(٣) انظر : ابن القرية والكتاب ج٢ص ٢٩٨ .

وقد درّس الشعراوي للطالب يوسف في المرحلة الثانوية ، ولم يكن وقتها قد بزغ نجم الشيخ الشعراوي في الدعوة وإن كان قد بزغ وقتها في الشعر، وقد درّس الشيخ الشعراوي للطالب يوسف البلاغة ، وكان الشيخ الشعراوي وقتها محسوباً على حزب الوفد ، وقد شُحِن الشيخ الشعراوي من طلاب الوفد تجاه طلاب الإخوان ، ودار بين الشيخ الشعراوي و الطالب يوسف حوار يوضح خبيئة هذا الأمر ، يقول الشيخ القرضاوي في مذكراته : ومن دلائل ذلك أن سألت الشيخ أثناء درسه سؤالاً علمياً بريئاً ، فاعتبر الشيخ الشعراوي السؤال تحدياً له ، واستشاط غضباً وقال : اسمع يا يوسف : إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً ، وكان هو السؤال الأول والأخير [١].

٥ -الدكتور: عبد الحليم محمود:

وقد درّس الدكتور عبد الحليم محمود للطالب يوسف في أصول الدين في السنة الثالثة والرابعة ، يقول عنه الشيخ في مذكراته : كان الدكتور عبد الحليم في تلك الآونة يلبس الحلة « الإفرنجية » كما كان حليق اللحية ، ولكنه كان رجلاً متصوفاً ، فكراً وعاطفة وعملاً ، وكان لا يهتم بالمظاهر لا في نفسه ولا في بيته ، وكان كثير الصمت لا يتكلم إلا قليلاً[٢].

وقد تأثر الطالب يوسف من شيخه عبد الحليم في الجانب الروحي ، وقد ذكر الشيخ ذلك في كتابه الحياة الربانية والعلم ، فيصفه بأنه أثّر فيه بصمته وتعمقه حيث كان داعية إلى الزهد والإقبال على الله[٣].

ثانياً : أهم أساتذته ومشايخه من الإخوان :

كان لانضمام الطالب يوسف لجماعة الإخوان المسلمين أثر عظيم في مسيرته الدعوية، ولما كانت الجماعة زاخرة بالشيوخ والعلماء فإن الطالب يوسف لم يتوان أن يثني ركبه بين أيديهم ، ناهلاً من علمهم ، ومن هؤلاء :

---

(١) انظر : المرجع السابق ج١ ص ٢٠٥ .
(٢) انظر : المرجع السابق ج١ ص ٤١٢ .
(٣) انظر : الحياة الربانية والعلم ص١٠ .

١ - **البهي الخولي :**

وقد تحدثنا عنه سابقاً ضمن شيوخه في المرحلة الثانوية .

٢ - **سيد سابق :** وهو الداعية الفقيه والشيخ العلامة سيد سابق صاحب كتاب «فقه السنة» الكتاب الذي شرق وغرب ، وقد استفاد الشيخ يوسف من الشيخ سيد سابق ومن كتابه هذا؛ حيث يقول في مقدمته لكتابه «تيسير الفقه للمسلم المعاصر»: وقد كان شيخنا السيد سابق - يرحمه الله - أصدر من أكثر من ربع قرن كتابه الشهير «فقه السنة» ومَنّ الله به على كثيرين وأنا منهم [١].

ويقول في كتاب آخر: وكان لكتاب أخينا الشيخ سيد سابق «فقه السنة» تأثير طيب في تفكيري وتوجيهي إلى الأدلة من القرآن والسنة ، أستقي منها بدل الرجوع إلى كتب الفقه المذهبي وحدها [٢].

ويقول مادحا الكتاب وصاحبه: سدّ كتاب الشيخ سيد سابق فراغًا في المكتبة الإسلامية في مجال فقه السنة، الذي لا يرتبط بمذهب من المذاهب، ولهذا أقبل عليه عامة المثقفين الذين لم ينشأوا على الالتزام بمذهب معين أو التعصب له، وكان مصدراً سهلا لهم يرجعون إليه كلما احتاجوا إلى مراجعة مسألة من المسائل.

وقد انتشر الكتاب انتشارا واسعا، وطبعه بعض الناس بدون إذن مؤلفه مرات ومرات، كما يفعلون مع غيره من الكتب التي يطلبها الناس[٣].

ويقول مدافعا عن الشيخ ومنهجه في كتابه« فقه السنة»: ربما انتقد (فقه السنة) بعض المذهبيين المتشددين في اتباع المذاهب، والذين اعتبروا الكتاب داعية إلى ما سموه (اللامذهبية) وهي - كما قالوا - قنطرة إلى (اللادينية)!

وأنا أعتقد أن مؤلف الكتاب وإن لم يلتزم مذهبا بعينه لا يعد من دعاة (اللامذهبية) لأنه لم يذم المذاهب، ولم ينكر عليها.

---

(١) انظر : الكتاب المذكور ص ٧ .

(٢) انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص ٦ .

(٣) انظر : في وداع الأعلام ص ٨٨ .

كما أعتقد أن مثل هذا النوع من التأليف ضرورة للمسلم الجديد، الذي يدخل في الإسلام الواسع دون التزام بمدرسة أو مذهب، وكذلك المسلم العصري الذي لا يريد أن يربط نفسه بمذهب معين في كل المسائل، بل يأخذ بما صح دليله، ووضح سبيله[1].

ولما قال البعض: إن الشيخ سيد سابق لم يعط فقه المقارنة والموازنة حقها، في مناقشة الأدلة النقلية والعقلية، والموازنة العلمية بينها، واختيار الأرجح بعد ذلك على بينة وبصيرة.

رد عليهم الشيخ القرضاوي بقوله: إن الشيخ لم يكتب كتابه للعلماء، بل لجمهور المتعلمين، الذين يحتاجون إلى التسهيل والتيسير، سواء في الشكل أم المضمون، وتوخى طريقة التسهيل والتبسيط، وكل ميسر لما خلق له[2].

ولما أبدى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بعض ملاحظاته على كتاب «فقه السنة» كان رد الشيخ القرضاوي كالتالي: ونقده (أي الشيخ الألباني) يتمثل في أمرين أساسيين:

الأول: فيما يتعلق بالحديث الذي يستدل به (فقه السنة) وهو ضعيف في نظر الشيخ، وربما يكون هناك خلل في عزوه إلى من عزاه إليه، أو نحو ذلك، وعذر الشيخ سيد أنه ينقل هذه الأحاديث عن كتب السابقين، ولم يبذل جهدا في تحقيقها وتمحيصها، عملا بالقاعدة التي تقول: كل علم يؤخذ مسلّما من أهله.

والثـــانى: خلاف في المشرب الفقهي بين الشيخ ناصر والشيخ سيد، فالشيخ ناصر أميل إلى اتباع ظاهر النص، والشيخ سيد أقرب إلى اتباع مقصد النص.

والشيخ ناصر لا يبالي بمخالفة جمهور الأئمة المتقدمين، كما في تحريمه الذهب المحلق على النساء، والشيخ سيد يحترم غالبا رأي الجمهور[3].

وقد تلقى القرضاوي الفقيه من الشيخ سيد سابق حين ضمهما معتقل

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٨٨.
(٢) انظر: المرجع السابق ص ٨٨.
(٣) انظر: المرجع السابق ص ٨٨، ٨٩.

الطور في محنة الإخوان عام ١٩٤٩م ، وكان الشيخ سيد سابق يعقد حلقات في الفقه بعد صلاة الفجر ، كما توطدت العلاقة أكثر بين القرضاوي والشيخ سيد سابق حين عملا سوياً في إدارة الثقافة التابعة لوزارة الأوقاف ، وكان الشيخ سيد مديراً لهذه الإدارة[١].

٣ -محمد الغزالي:

تتلمذ القرضاوي على الشيخ «محمد الغزالي» مرتين: مرة من خلال كتبه ومقالاته ، والثانية: من خلال مدرسة الإخوان ، عرف الشيخ يوسف شيخه «الغزالي» أول ما عرفه من خلال بابه الثابت في مجلة « الإخوان المسلمين» الأسبوعية ، وكانت كلمات الشيخ «الغزالي» الساحرة ، وأسلوبه الساخر ، ونقده اللاذع ، وفكره الثاقب ؛ مما يشد القرضاوي الشاب في هذه المقالات.

ويرى القرضاوي أن الغزالي جمع خير ما في الرافعي والمنفلوطي والعقاد ، ويعبر الشيخ عن ذلك بقوله : وكان يشدني إليه فكره الثائر ، وبيانه الساحر ، وأسلوبه الساخر ، فقد كنت أرى فيه إلى جوار كونه داعية ـ أديباً من الطراز الأول، وكان «الغزالي» يحمل روح الرافعي وتألقه ، وسهولة المنفلوطي وتدفقه، وتأمل العقاد وتعمقه[٢].

وكان اللقاء الأول للطالب يوسف بالشيخ «الغزالي» وسط الأمواج على متن الباخرة «عايدة » والتي أقلّت المعتقلين من الإخوان لترحيلهم من معتقل «الهايكستب» إلى معتقل «الطور» ، وكان هرجاً ومرجاً قد بدا في الباخرة ؛ وفجأة كما يقول الشيخ يوسف : ظهر شاب قصير القامة ، أبيض الوجه ، مشرق القسمات ، حاسر الرأس ، يلبس ثوباً أبيض ، فتكلم بكلمات موجزة بليغة وقوية؛ طالباً من الإخوان أن يلزموا الهدوء ، ويحترموا النظام حتى يصلوا إلى تلك الأرض التي انطلقت منها شرارة الوحي المقدس ، لتحرير أمة مستعبدة .

وسأل الطالب المعتقل يوسف عن هذا الثائر فقالوا : إنه الشيخ محمد الغزالي[٣].

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ٩٠ . (٢) انظر : الشيخ الغزالي كما عرفته ص ١٣ .
(٣) انظر : المرجع السابق ص ١٥ ، ابن القرية والكتاب ج١ص ٣٥٧ .

وقد عدّ الشيخ يوسف اعتقاله مع الشيخ محمد الغزالي منحة من الله تعالى فيقول : وكانت فرحتي لا تقدر حين علمت أن الشيخ محمد الغزالي معنا، هذا الشيخ «الغزالي» الذي قرأت له ، وأحببته من بعيد ، فها أنا ذا اليوم معه وجهاً لوجه ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، فهذه أولى ثمرات هذه المحنة ، التي نرجو أن تكون منحة بفضل الله[١].

ويرى الشيخ يوسف في شيخه «الغزالي» : الرجل الرباني الذي يتصف بالربانية لا الرهبانية ، يراه قريب الدمعة ، سريع البكاء ، يقول الشيخ القرضاوي عن شيخه: إن «الغزالي» لا يعد من المتصوفين ، ولكن أشهد أن الرجل أقرب إلى الله من كثير ممن زعموا لأنفسهم أنهم أصحاب الأحوال والمقامات ، إنها تقوى الله، وليست دعوى الألسنة ، ولا بريق المظاهر ، ولا حمل الألقاب ، إنه يتحدث عن الله حديث المحب الواله ، لا حديث الناسك المحترف ، ويتكلم عن الله الواحد ، كأنه يراه بين يديه بجلاله وجماله وكماله ، ومن قريب رأيته وقد غلبته الدموع يتحدث عن كلمة التوحيد : عن «لا إله إلا الله» ويقول: إني أحب هذه الكلمة وأود لو أقبلها ، إنها حبي وشوقي وولهي[٢].

كما يرى القرضاوي في شيخه «الغزالي» الرجل القرآني الحق ، الذي يعيش بالقرآن ، ومع القرآن ، وللقرآن ، مما جعل معاني القرآن بين يديه ، ومعارفه أمام عينيه ، كأن القرآن جنة يقطف من ثمارها ، أو بستان يتخير من أزهاره ، يقول الشيخ القرضاوي : وهو لا يتعامل مع القرآن بعقله وحده ، بل بعقله وقلبه معاً ، وحين كنا نستمع إليه في صلاة التراويح ونحن في معتقل الطور ، كنا نحس أن للرجل حالاً مع القرآن ، يستبشر بوعده ، ويرتعش من وعيده ، ويتجاوب مع قصصه ، ويحيا في عبره وأيام الله فيه ، فتلاوته ليست تلاوة محترف ولا غافل ، بل تلاوة عقل يقظ ، وقلب مشرق ، ووجدان حي[٣].

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ص ٣٥٨ .
(٢) انظر : الغزالي كما عرفته ص ١٠١ .
(٣) انظر : المرجع السابق ص ١٠٧ .

كما يرى الشيخ القرضاوي أيضاً في شيخه «الغزالي» صفة الإصلاح والتجديد ، وهو وإن كان داعية فإن مجال الدعوة لم يحجبه عن الإصلاح والتجديد ، يقول الشيخ القرضاوي حفظه الله : الشيخ «الغزالي» وإن كان رجل دعوة في المقام الأول ، هو كذلك رجل من رجال التجديد والإصلاح الذين شغلوا بهموم المجتمع من حولهم ، وما تعانيه أمتهم من اختلال في الأوضاع والأنظمة ، ومن فساد في الأفكار والأخلاق .

ولم يكن الشيخ «الغزالي» مصلحاً مصريا ؛ وإن كانت مصر تأخذ الحظ الأول في تفكيره واهتمامه ، ولا مصلحاً عربيا وإن كانت العروبة وعاء الإسلام ، والعربية لسانه ، والعرب حملة دعوته ؛ ولكنه مصلح على مستوى الأمة كلها من المحيط إلى المحيط[١].

وقد حاول الشيخ القرضاوي أن يرد الجميل لشيخه ، وأن يعطيه ولو بعض حقه ، فكتب كتابه « الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن » .

و الشيخ القرضاوي وإن كان يحب شيخه فإنه لا يدعي له العصمة، ولكنه يرفض أن يهضم حقه، أو ينتقص من شأنه ، ولذا فهو يقول في مقدمة كتابه عن الشيخ الغزالي : إني لا أزعم أن «الغزالي» مبرأ من العيوب ، فما هو بالملك المطهر، ولا بالنبي المعصوم ، إنما هو بشر يخطئ كما يخطئ البشر، ويصيب كما يصيب البشر، ولكنْ أخطاؤه وزلاته مغمورة في محيط حسناته وميزاته، « وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث »[٢]، فكيف إذا كان بحراً لا تكدره الدلاء ![٣].

وحين أراد أن يصف شيخه وصفاً معبراً قال : إنه الداعية الكبير ، والكاتب القدير، والخطيب الأصيل، أديب الدعوة الإسلامية، ولسانها الناطق بالحق ، الجاهر بالصدق ، المعبر عن خلجات الجماهير ، الذي قاوم الظلم الاجتماعي،

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٨٦ .

(٢) رواه أحمد (٤٦٠٥) وقال محققوه: صحيح وهذا إسناد حسن، ورواه أبو داود (٦٣) والترمذي (٦٧)، والنسائي (٥٢) وذكره الألباني في صحيح أبي داود (٥٦).

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٧ .

والاستبداد السياسي ، والاستعمار الصليبي ، كما قاوم التدين المغشوش ، والفهم المعلول للإسلام ، ببيانه الزاخر، وأدبه الساخر ، وكتبه التي شرِّقت وغرِّبت : «الشيخ محمد الغزالي»[1].

ولما علم القرضاوي بوفاة شيخه الغزالي رثاه بكلمة تبكي من قرأها، وتدمع عين من طالعها ، وكان مما قاله : وأخيرا هوى النجم الساطع، واندك الجبل الأشم، وطُوي العلم المنشور، وغابت الشمس المشرقة، وترجل الفارس المعلم.. ومات الشيخ الغزالي .

أخيرا فقدت الأمة الإسلامية علم الأعلام، وشيخ الإسلام، وإمام البيان ورجل القرآن[2].

بين الغزالي والقرضاوي في أرائهما:

والمتابع لآراء كل من الشيخين: الغزالي والقرضاوي التجديدية؛ يرى أن الغزالي كان منشأ وأن القرضاوي كان مؤصلا. وأضرب هنا أمثلة بعدد من المسائل التي كان للشيخين فيها رأيا تجديديا:

١ – مسألة الغناء والموسيقى.

٢ – مسألة النقاب والقول بسنيته لا فرضيته.

٣ – مسألة تولي المرأة للمجالس النيابية.

٤ – مسألة سفر المرأة بدون محرم.

٥ – مسألة مساواة المرأة مع الرجل في الدية.

أقول: إن كل هذه المسائل وغيرها إنما تبنى القرضاوي فيها رأي شيخه الغزالي، واستفاد بما كتبه، وأصّل لها، ووسع في أدلتها.

ثالثاً : أهم أساتذته وشيوخه الذين لم يدرسوه :

هناك شيوخ أخذ الشيخ منهم ولكنهم لم يدرسوه ، ومع هذا فقد تركوا في الشيخ أثراً بالغاً ، ومن هؤلاء :

---

(١) انظر : أمتنا بين قرنين ص ١٠٦ .

(٢) انظر : في وداع الأعلام ص ١٢٣ .

الدكتور محمد البهي :

يقول عنه القرضاوي: أستاذ الفلسفة والعقيدة في كلية أصول الدين ، وصاحب المؤلفات المعروفة في الفكر الإسلامي ، مثل « الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي » و « الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي »، ولكن من حظي أنه ترك كلية أصول الدين، وانتقل إلى كلية اللغة العربية ليدرس فيها الفلسفة ، ويرأس قسميها عام ١٩٥٠م ، وعملت معه بعد ذلك حين كان مديراً عاما للثقافةالإسلامية[١].

والعجيب أن الشيخ محمد البهي حاول عرقلة سفر الشيخ القرضاوي إلى « قطر » آملاً أن يقبل الشيخ بالسفر إلى « ليبيا » ليكون شيخاً لمعهد « القويري » وقد كان رفض الشيخ القرضاوي لقلة الراتب في « ليبيا »، وقد دعا الشيخ القرضاوي الشيخ « محمد البهي » ليكون أستاذاً زائراً في كلية الشريعة بجامعة قطر كنوع من رد الجميل، وكان من ثناء الشيخ « محمد البهي » على الشيخ القرضاوي بعد أن رأى نشاطه: كان ظني بك في محله ، وأنت العالم المرجو لغد هذه الأمة، وكان يقول لمن يزوره من الأزهريين : إن القرضاوي لم يأخذ حقه، وإن مكانه الصحيح هو مشيخة الأزهر[٢].

الدكتور محمد يوسف موسى :

لم تسعد الأيام الشيخ القرضاوي ليتتلمذ على يد الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، وإن كان قد تتلمذ على كتبه، وحين يتحدث القرضاوي عن الدكتور « محمد يوسف موسى » فيقول : كان الدكتور راهباً من رهبان العلم والفكر ، لم يتزوج غير العلم والمكتبة ، وكان ضليعاً متمكناً من علوم الفقه والشريعة وعلوم الفلسفة والعقيدة [٣].

ولهذا لما احتار الشيخ القرضاوي بين قسمي كلية أصول الدين أيهما

(١ - ٣) انظر: ابن القرية والكتاب ج١ص ٤١١ - ٤١٣ .

يختار، علوم القرآن والسنة أم علوم العقيدة والفلسفة ؟ لم يحسم للشيخ القرضاوي هذا الأمر سوى الدكتور «محمد يوسف موسى »، فوجه القرضاوي إلى قسم القرآن والسنة ، وكان مما قاله له : إذا تضلعت في علوم القرآن والسنة أمكنك أن تحترم رسالة الإسلام حقاً ، وأحسب أن لك دوراً إن شاء الله في الاجتهاد والتجديد لهذا الدين أرجو ألا يخيب ظني فيه[١].

ولما ألّف الشيخ القرضاوي كتابه الأول «الحلال والحرام» كان الدكتور «محمد يوسف موسى » من أول من أهدى إليهم الشيخ القرضاوي كتابه، وقال له الدكتور «محمد يوسف موسى »: هذا الموضوع كلف به زميلنا فلان ـ عضو جماعة كبار العلماء ـ وقد كان محتاراً : ماذا يكتب في هذا الموضوع المبعثر والمشتت وقد اقترحت عليه بعض الأشياء، ولكن ما أحسبه يهتدي إلى ما هداك الله إليه ، بورك فيك يا يوسف[٢].

الشيخ محمد الأودن :

قال عنه الشيخ القرضاوي : الرجل الرباني ، الذي كان يتدفق إيماناً وروحانية ، ولم يدرسني في الكلية ، ولكني زرته في بيته في الزيتون ، والتقيت به ، واستمعت إليه ، وهو يعطي جليسه شحنة روحية قوية ، لأن كلامه يخرج من قلبه فيلامس القلوب ، بخلاف من يخرج كلامهم من أطراف اللسان ، فهو لا يتجاوز الآذان [٣].

الشيخ محمود شلتوت :

قال عنه القرضاوي: الفقيه المجدد الذائع الصيت ، الذي كنت أزوره في بيته في حي الظاهر قبل أن ينتقل إلى مصر الجديدة ، وأستفيد من فكره ونظراته التجديدية [٤].

---

(١) انظر : المرجع السابق ج١ص ٤١٣ .
(٢) انظر : المرجع السابق ج٢ ص ٢٩٦ .
(٣) انظر : المرجع السابق ج١ ص ٤١٣ .
(٤) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٤١٤ .

كانت بداية معرفة القرضاوي بالشيخ شلتوت أثناء دراسته في جامعة الأزهر ، وكان القرضاوي يتتبع محاضراته ولقاءاته، وخصوصاً محاضراته في التفسير والتي كان يلقيها في « دار الحكمة » بالقاهرة[١].

ثم توطدت العلاقة أكبر بعد تخرج القرضاوي من الأزهر، وانتقاله من وزارة الأوقاف إلى الأزهر، بعد أن طلب القرضاوي وأخوه العسال من الشيخ شلتوت هذا ، ونقلا فعلاً إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية ، ولما كان رئيس هذه الإدارة هو الدكتور محمد البهي فقد عهد إلى القرضاوي والعسال بجمع تراث الشيخ شلتوت من الصحف والمجلات [٢].

وكانت ثقة الشيخ شلتوت كبيرة جداً بالقرضاوي ؛ ومن ذلك أن الشيخ شلتوت أوكل القرضاوي بسد الفجوات وإكمال النقص إن وجد في بعض المقالات أو الفتاوى ، بل كان يحيل إلى القرضاوي بعض الأشياء المفصلة ليلخصها له ، مثل: رأي ابن القيم في فناء المنار ، ومثل: فتوى إفطار الجنود في الصوم عند قتال العدو ، وقد كتبت باسم الشيخ شلتوت[٣].

محمد عبد الله دراز :

يُعد العلامة « محمد عبد الله دراز » من أبرز مشايخ الشيخ القرضاوي وأساتذته ، وقد درس الدكتور « دراز » للشيخ القرضاوي في مرحلة تخصص التدريس بالأزهر ، ولم أجد الشيخ القرضاوي تحدث عن أحد من مشايخه كما تحدث عن العلامة « دراز » حيث يقول عنه : رأيت أنه – « دراز » – ينطبق عليه ما كان يكتبه الأولون عن علمائهم ومؤلفيهم ، مثل : العالم العلامة ، الحبر البحر العلامة ، فهذا ما يمكن أن نقوله عن الشيخ [٤].

ويقول : كان يتدفق في معارفه كأنما يغرف من بحر ، ويبهر سامعه كأن

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٤١٥ ، ٤١٦ .
(٢) انظر : المرجع السابق ج١ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .
(٣) انظر : المرجع السابق ج١ ص٢٨٣ .
(٤) انظر : المرجع السابق ج٢ ص ٢٨٣ . وانظر : تقديم الشيخ القرضاوى لتراث الشيخ البهي ص ٨ .

كلامه السحر، ويشرح الدقائق فيجليها ، والغوامض فيكشف عن خوافيها ، ويبين معانيها[١].

ويقول عنه أيضاً : لقد أحاط بعلوم الدين من التفسير والحديث والتوحيد والأصول والفقه ، وبعلوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة ، وبالأدب وتاريخه، وبالعلوم الإنسانية العصرية .

ويقول : كان الشيخ دراز علماً من أعلام الفكر ، وإماماً من أئمة الدين ، وبحراً من بحور العلم ، وجمع حقاً بين الأصالة والمعاصرة ، فإن شئت نسبته إلى جامع الأزهر فهو ابنه البار ، وإن شئت أن تنسبه إلى جامعة « السربون » فهو من خريجيها الذين تعتز بهم ، وتفخر بانتمائهم إليها[٢] .

رابعاً : شخصيات أعجب بها :

هناك شخصيات في حياة الشيخ يوسف أبدى إعجابه بها لما لها من أثر ملحوظ، وتراث واضح ، وفكر نير ، لكنه مع هذا الإعجاب يدرك جيداً أن أحداً من هؤلاء لم يرزق العصمة ، ومع احترامه لهم لا يسلم بكل ما قالوا ؛ لكنه مع تخطئته لهم لا يرى أنه أفضل منهم ، فالفضل أمر بيد الله عز وجل ، ومن هذه الشخصيات :

١ - الإمام ابن حزم :

عرف الإمام « ابن حزم » بمذهبه الظاهري ، وبدت ظاهريته واضحة في كثير من آرائه الفقهية ، وقد كان الشيخ يوسف وما يزال معجباً بهذه العقلية ، وفي ذلك يقول الشيخ : وبالغ الظاهرية في الأخذ بظواهر النصوص ، والاستمساك بحرفيتها إلى حد انتهى بهم إلى أفهام عجيبة ، وآراء غريبة ، ينكرها الشرع والعقل جميعاً ، رغم عبقرية ابن حزم التي تشهد بها آثاره العلمية التي كان فيها نسيجاً وحده[٣].

---

(١) انظر : المرجع السابق ج٢ ٢٨٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ج٢ ٢٨٤ .

(٣) انظر : المرجعية العليا في الإسلام ص ٢٤٤ .

٢- ابن رشد الحفيد :

أعجب الشيخ بشخصية ابن رشد الحفيد ؛ وإعجاب القرضاوي بابن رشد كان لاتساع ثقافته، وانفتاحه على ثقافات الأمم وإطلاعه عليها ، واقتباسه من حقها وصوابها ، وإعراضه عن باطلها وخطئها ، كما يرى فيه الشيخ أنه رجل موسوعي، بل إن الشيخ يعده أحد «الموسوعيين» الكبار في تاريخنا .

وتظهر موسوعية «ابن رشد» في كونه خاض غمار التأليف في نواحي شتّى، فهو كاتب جيد في الفقه المقارن ، ولعل كتابه القيم «بداية المجتهد» أكبر دليل على ذلك ، يقول عنه الشيخ حفظه الله : بل ألف كتاباً في الفقه المقارن كتبه بعقلية الفيلسوف الأصيل، وملكة الفقيه المتضلع ، ودل به على سعة إطلاعه على المذاهب وعلى أسباب اختلافها ، معتمداً أساساً على «الاستذكار» لابن عبد البر ، كما دل على قدرته على رد الأقوال إلى جذورها ، وبيان سبب الخلاف فيها أهو أصولي أم فقهي أم حديثي ؟ إلى آخره .... مع حياد وموضوعية [١].

وكما كتب ابن رشد في الفقه فقد كتب في الفلسفة والطب ، وكانت براعته في الطب و الفلسفة لا تقل عن براعته في الفقه بل تزيد ، وهذا ما جعل الشيخ القرضاوي يعتب عليه ويلومه بقوله: ألا ليت فيلسوفنا وعالمنا الكبير ابن رشد أعطى بعض جهده ووقته للشرعيات مثلما أعطى للعقليات والفلسفيات ، إذن لكان عطاؤه أجزل ، ونفع الأمة به أكمل ؟[٢].

٣ - الشوكاني :

وممن أعجب بهم أيضاً شيخنا في مجال الفقه الإمام العلامة الشوكاني ، يقول الشيخ في كتاب المرجعية العليا للقرآن: وأنا من المعجبين بالشوكاني والقنوجي[٣].

---

(١) انظر : ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ص ٦١ .
(٢) انظر : المرجع السابق ص ٩٨ .
(٣) انظر : المرجعية العليا للقرآن ص ٢٤٩ .

ويذكر الشيخ القرضاوي الإمام «الشوكاني» في عدد المجتهدين فيمدحه بقوله : وفي القرن الثالث عشر يظهر في اليمن الإمام المجتهد المطلق «محمد بن علي الشوكاني» (ت ١٢٥٠ هـ) والذي تجلى اجتهاده في الفروع والأصول في كتبه «نيل الأوطار» و «السيل الجرار» و «الدراري المضيئة» وشرحه «الدرر البهية» و «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول»[١].

لكن إعجاب الشيخ القرضاوي بالعلامة «الشوكاني» لا يجعله عاصماً له، ومن ثم فهو يقول : ولكن لا عصمة لغير رسول الله ﷺ ، و«الشوكاني» على إمامته تبدو فيه أحياناً نزعة ظاهرية[٢].

بل هو أيضا مع إعجابه به فلم يمنعه ذلك من مخالفته له ، وهذا ما أعلنه الشيخ القرضاوي من موقف الإمام «الشوكاني» في تحريم التقليد ، ومن الرأي ، فيقول : ولكني لست معه في تحريم التقليد على عوام الناس ، وتحريم التمذهب عليهم ، بل لا أرى مانعاً من اتباع هؤلاء لإمام من أئمة المسلمين ، والتزام مذهبه، مثل: أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد[٣].

ويقول أيضاً: ولست مع الإمام «الشوكاني» في حملته على «الرأي» الفقهي ، واعتباره كأنه ضد الشرع ، وأنه العمدة في الرواية لا الرأي ، فالحقيقة أن لا فقه بغير رأي ، والرأي المذموم هو ما كان ضد النصوص المحكمة ، أما الرأي فيما لا نص فيه ، وفي حسن فهم النصوص وفقاً للأصول المرعية ، وفي ضوء مقاصد الشريعة وأهداف الدين فلا غنى عنه بحال[٤].

٤- القنوجي :

وممن أعجب بهم أيضاً شيخنا في مجال الفقه العلامة «صديق حسن

---

(١) انظر : من أجل صحوة راشدة ص ٤٢ .
(٢) انظر : المرجعية العليا للقرآن ص ٢٤٩ .
(٣) انظر : كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف ص ٦٩ .
(٤) انظر : المرجع السابق ص ٧٠ .

خان القنوجي»، تلميذ الإمام «الشوكاني» يقول الشيخ في كتاب المرجعية العليا للقرآن : وأنا من المعجبين بالشوكاني والقنوجي[١].

٥ - محمد رشيد رضا :

ومن الشخصيات التي نالت إعجاب الشيخ القرضاوي ، الإمام «محمد رشيد رضا» صاحب مدرسة المنار، وقد تعرف عليه من خلال مجلته «المنار» يقول الشيخ القرضاوي : وأنا لا أنكر أني من أشد المعجبين بالشيخ رشيد رضا وأعتبره أحد مجددي الإسلام ، وواحداً من أعلامه الراسخين في العلم ، المستقلين في الفكر ، المجتهدين في الدين[٢].

بل يعد الشيخ القرضاوي الإمام «رشيد رضا» شيخاً له فيقول: الشيخ رشيد رضا، هو شيخي وأستاذي الذي أحببته وقدَّرته من القدم، والتلميذ لا يبلغ مبلغ شيخه[٣].

ويُظهر القرضاوي أثر مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ «رشيد رضا» وكتبه في العالم الإسلامي فيقول : وقد كان لمجلة «المنار» وتفسيره وكتبه وفتاويه ، أثر لا يجحد في تنبيه الأمة الإسلامية من غفلتها ، وتحريرها من أغلال القيود التي وضعتها في أعناقها، والعمل على إعادتها إلى الينابيع الصافية من كتاب ربها وسنة نبيها وهدي سلفها الصالح في خير القرون.

ويصفه الشيخ بقوله : فهو في طليعة دعاة السلفية، وأنصار السنة المحمدية الذين أحيوا علوم السلف ونوهوا بها، وناصروا المدرسة السلفية بالعقل والنقل[٤].

وعند الحديث عن الشيخ «رشيد رضا» وشيخه الإمام «محمد عبده» يظهر الشيخ القرضاوي ميزات كل واحد منهما فيقول: والسيد «محمد رشيد رضا»

---

(١) انظر : المرجعية العليا للقرآن ص ٢٤٩ .
(٢) انظر : فتاوى معاصرة ج ٢ ص ٨٣ .
(٣) انظر : تفسير سورة الرعد ص ١٣ .
(٤) انظر : فتاوى معاصرة ج٢ ص ٨٣ .

كان أقرب إلى الانضباط بمحكمات الشرع من شيخه الأستاذ الإمام ، بما له من سعة اطلاعه على كتب السنة والآثار ، وإنتاج المدرسة السلفية التي يمثلها «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم» ، وهو الذي شنّ حملاته القوية من مجلته العتيدة « المنار » على الجمود والتقليد ، وكتب المقالات الإصلاحية ، والفتاوى العلمية التجديدية ، خلال ثلث قرن من الزمان أو يزيد ، وذاعت اجتهادات الشيخ رشيد رضا، وفتاواه التجديدية في العالم الإسلامي كله ، ولقيت من القبول أكثر مما لقيته اجتهادات شيخه على قلتها.

ويقول أيضاً : ونجد تلميذ الأستاذ الإمام «رشيد رضا» أكثر التزاماً وانضباطاً من شيخه وشيخ شيخه من باب أولى[1] « الأفغاني » .

ثم يقول: والإمام «محمد عبده» أقرب إلى عقلية المتكلمين من أمثال «الباقلاني» و«إمام الحرمين» و«الغزالي» وغيرهم ، والسيد «رشيد رضا» أقرب إلى عقلية «فقهاء المحدثين» الجامعين بين المعقول والمنقول أمثال الإمام «الشافعي» و«ابن دقيق العيد» و «ابن تيمية» و«ابن القيم» و«ابن الوزير»[2].

وإعجاب القرضاوي وحبه لرشيد رضا لا يجعله يدعي له العصمة، ومن ثم فهو يقول: ولا يعني هذا أن الشيخ «رشيد رضا» مبرأ من كل عيب أو معصوم من كل خطأ، فهذا ما لم يقله عن نفسه، وما لا نقوله نحن عنه[3].

ويشيد القرضاوي بسلفية «رشيد رضا» ويمدحه في فكره ومنهجه الجامع بين العقل والنقل، والأصالة والتجديد ، والتجميع لا التفريق، فيقول: وقد كان الإمام «رشيد رضا» مجدد الإسلام في عصره، ومن قرأ تفسيره، أو قرأ فتاواه، أو قرأ كتبه، علم أن فكر هذا الرجل كان يمثل مناراً هادياً في مسيرة الإسلام في العصر الحديث، وكانت حياته العملية مصداقاً لفكرته السلفية، وهو صاحب

---

(١) انظر : من أجل صحوة راشدة ص ٤٣ .
(٢) انظر : فتاوى معاصرة ج٢ ص ٨٥ .
(٣) المرجع السابق ص٨٣ .

القاعدة الذهبية الشهيرة التي تبناها من بعده الإمام الشهيد «حسن البنا» وهي التي تقول: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»[١].

وكان من إعجاب الشيخ القرضاوي بالإمام «رشيد رضا» أن قام بتأصيل قاعدته المنارية الذهبية الشهيرة، وضمها الجزء الثاني من فتاواه، في عدد من الصفحات عشر صفحات.

كما أنه حين شرع في درس التفسير بدأه بسورة الرعد، وقال: ولهذا حين اقترح بعض الإخوة في الدوحة أن أبدأ من «سورة الرعد» انشرح لذلك صدري لتكون استكمالاً لما بدأته في الجزائر من ناحية، وتحقيقاً لرغبة قديمة من عدد من المحبين كانوا قد طلبوا إليّ أن أكمل تفسير المنار للعلامة المجدد السيد محمد رشيد رضا[٢].

٦ -أبو الحسن الندوي:

علامة الهند، ورباني الأمة، وبقية السلف، العالم العامل، الحبر الكامل، الزاهد المجاهد، صاحب الكتب الفائقة، والرسائل الرائقة، والمحاضرات النافعة، الذي أجمع عليه السلفيون والمتصوفون، والمذهبيون واللامذهبيون، والتقليديون والمعاصرون، الداعية الكبير الشيخ «أبو الحسن الندوي»[٣].

بهذا الوصف تحدث القرضاوي عن الندوي رحمه الله، كما كتب القرضاوي عن العلامة «الندوي» كتاباً أسماه «الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته» وهو يستبعد عدم الكتابة عن مثل هذا الرجل قائلاً: وكيف لا أتحدث عن الإمام الرباني الإسلامي القرآني المحمدي وهو أخي وشيخي وحبيبي[٤].

---

(١) انظر: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ص ١٠٠.

(٢) انظر: تفسير سورة الرعد ص ١٢. حدثت فضيلة الشيخ وقلت له: لماذا لا تكمل إذاً ما بدأه الإمام رشيد رضا، وما بدأتم به فضيلتكم في الجزائر وهنا في الدوحة، خصوصا وأن تراثكم التفسيري محدود إذا قارناه بغيره؟ فأجاب قائلا: شيخنا رشيد قضى في تفسيره هذا أكثر من ربع قرن، وتريدون مني أن أبدأ الآن؟ هناك أولويات.

(٣) انظر: أمتنا بين قرنين ص ١١٠.

(٤) انظر: الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته ص ١٠.

وقد أوضح القرضاوي سبب حبه للإمام الندوي قائلاً: أحببته لتجرده وإخلاصه وربانيته ، وأحببته ليقينه وتوكله وقوته ، وأحببته لتحرقه وتوقده وغيرته، وأحببته لاعتداله ووسطيته ، وأحببته لنقاء فكره من الخرافة ، وصفاء قلبه من الحسد ، وسلامة عقيدته من الشركيات ، وسلامة عبادته من المبتدعات، ونظافة لسانه من الطعن والتجريح، بالتصريح أو التلميح ، أحببته لانشغاله بالقضايا الكبيرة عن المسائل الصغيرة ، وبالحقائق عن الصور ، وبالمعنى عن المبنى، وبالعمق عن السطح [١].

تعرف القرضاوي على الندوي من خلال كتابه الأول « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » التقى به في مصر وهو طالب ثم تعددت اللقاءات بينهما ، والقرضاوي يؤكد إعجابه بالندوي وتتلمذه عليه فيقول : بل إنني تتلمذت عليه مباشرة باللقيا والسماع منذ لقيته في سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥١ م في مصر وكلما لقيته بعد ذلك ، فهو حفظه الله قدوة في حركته ، وقدوة في سلوكه ، وقدوة في كلامه ، وقدوه في صمته[٢] .

٧ - عبد العزيز كامل:

يعد الدكتور عبد العزيز كامل من الشخصيات التي أعجب بها الشيخ القرضاوي ، كما أنه من الشخصيات التي أثرت فيه فكراً وثقافة ودعوة . يقول الشيخ القرضاوي : كنت من المعجبين بمقالات الدكتور « عبد العزيز كامل » والمداومين لقراءتها[٣].

ويقول عنه : لقد كان للسانه حلاوة ولكلمه طلاوة ولكتاباته تأثير في العقل والقلب معاً [٤].

وقد كانت بداية معرفة الشيخ القرضاوي بالدكتور « عبد العزيز كامل » عن

---

(١) المرجع السابق ص ١٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٤ .
(٣، ٤) انظر: ابن القرية والكتاب ج٢ ص ٢٥٢ .

طريق هذه الكتابات التي كان يركز فيها الدكتور«عبد العزيز كامل» في مجلة «الإخوان المسلمون» على التربية الخاصة ، وذلك بغرس الجانب الرباني في تكوين الشخصية المسلمة .

وكانت أول مقابلة للشيخ القرضاوي بالدكتور «عبد العزيز كامل» حين زار «طنطا» قبل حلّ جماعة « الإخوان المسلمون» وكان هذا اللقاء مما زاد إعجاب الشيخ القرضاوي بالدكتور «عبد العزيز كامل» وحبه له [١].

وكان اللقاء الثاني في معتقل «الطور» وتوثقت الصلة أكثر بعد أن كلف الدكتور «عبد العزيز كامل» بقسم «الأسر» في جماعة « الإخوان المسلمون» ، ثم توثقت أكثر بعد لقياهم في «السجن الحربي» .

وازداد اتصال القرضاوي بالأستاذ عبد العزيز كامل فيما بعد، وكان يرافقه في هذا الاتصال صديقه أحمد العسال ، وكان هدف هذا الاتصال كما يقول القرضاوي : للاقتباس منه ، والاقتطاف من ثمار معرفته وخبرته.

وكان هذا الاتصال سبباً في اعتقال كل من القرضاوي والعسال في صيف ١٩٦١م بعد عودتهما من قطر في أول أجازة بأيام [٢].

وإعجاب القرضاوي بالدكتور «عبد العزيز كامل» جعله يأسف لعدم جمع مقالات الدكتور لأنها تراث ينبغي الانتفاع به .

٨ - سيد قطب :

لقد أعجب الشيخ القرضاوي بالشهيد «سيد قطب» أيما إعجاب، أعجب بفكره وعطائه، وأعجب بتضحيته وثباته ، كما أعجب بأدبه وبيانه، وقد عده الشيخ من الرجال الذين لهم أثرهم البارز في الصحوة، ولا ينساهم التاريخ فقال: ويذكر منهم الرجل الصلب الذي أوذي في الله فما وهن وما ضعف،

---

(١) انظر المرجع السابق ج٢ ص ٢٥٣.

(٢) انظر المرجع السابق ج٢ ص ٢٥٤..

وما استكان ، وقد قدم عنقه فداء لفكرته.. صاحب القلم البليغ ، والأدب الرفيع، والروح المحلق، والبيان المشرق ، والمنهج الواضح ، والفكر الثائر ، صاحب «التصوير الفني » و «العدالة» و «الظلال» و «المعالم » وغيرها من الكتب التي انتشرت في لغات العالم الإسلامي شرقاً وغرباً الأديب الكبير ، الداعية الشهيد : «سيد قطب»[١].

ومما أعجب به الشيخ في الشهيد اهتمامه بفقه الأولويات ، حيث اهتم الشهيد بالعقيدة قبل النظام، ولذا يقول الشيخ القرضاوي: الشهيد: «سيد قطب» كانت الأولوية عنده للعقيدة قبل النظام ، ولتحقيق حاكميه الله في الأرض، وهذا ما كرره وأكده غاية التأكيد في كتبه الأخيرة وبخاصة «الظلال».

كما عني الشهيد رحمه الله بتصحيح التصور الاعتقادي للإسلام إذ لا يمكن أن يصلح عمل ناشئ عن تصور فاسد أو سقيم، فمتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟[٢].

والشيخ القرضاوي يعتبر الشهيد «سيد قطب» ـ رحمه الله ـ إماماً من أئمة الدعوة فيقول في معرض كلامه عن « الحاكمية» : فكرة « الحاكمية » التي نادى به في عصرنا إمامان من أئمة الدعوة والفكر وهما «أبو الأعلى المودودي» و«سيد قطب» ـ رحمهما الله ـ[٣].

ولم يكن شعر الشيخ القرضاوي ناسياً لتراث الشهيد سيد قطب ، فكُتُب الشهيد سيد وأخيه «محمد» من أكبر الدلائل التي تدين من وجدت لديه ، وفي الأرجوزة التي كتبها الشيخ بعنوان « الأصوليون » متحدثاً على لسان رجال الأمن يذكر سيد رحمه الله وكتبه فيقول :

بيوتهم تحفل بالدلائل على انتمائهم بدون حائل
ستجد السواك والمصاحفا والكتب فيها تالداً وطارفا

---

(١) انظر : أمتنا بين قرنين ص ١٦ .
(٢) انظر : في فقه الأولويات ص ١٦ .
(٣) انظر : بينات الحل الإسلامي ص ١٦٠ .

إلى أن يقول :

وكتب القطبين كالظلال والقرضاوي بعد والغزالي[1]

وقد أثار هذا الإعجاب حفيظة جماعة أطلق عليها «الأحباش»[2] وقد أرسلوا إلى قناة الجزيرة القطرية رسالة يعددون فيها مآخذهم على الشيخ ؛ ومن بين هذه المآخذ مدح القرضاوي للأستاذ «سيد قطب» وغيره من علماء الإسلام ، وقد جاء في رد الشيخ على هؤلاء : وأنا لم أقل في «المودودي» و«سيد قطب» إلا ما أعتقد أنه الحق، فقد كان الرجلان من حملة الدعوة إلى الله ، ودعاة الإصلاح والتجديد في الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري[3].

ويقول : ودفع «سيد قطب» عنقه فداء لدعوته ، وثمناً لإصراره على عقيدته ، وصدقت مقولته ، ستظل كلماتنا عرائس من الشمع لا إحساس فيها ولا حياة حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح وسرت فيها الحياة ![4].

وقال : وقف «سيد قطب» ضد الجاهلية بكل صورها ، العقدية والفكرية ، والسلوكية ، ووقف ضد العلمانية الغازية ، ووقف ضد الصهيونية الغاصبة ، والصليبية المعادية ، والدكتاتورية المتسلطة ، وكان قلمه البليغ هو سيفه المصلت في المعركة الحامية الوطيس ، التي سقط فيها شهيد دعوته التي آمن بها وضحى في سبيلها بأغلى ما يضحي به الإنسان[5].

وقد يعترض البعض على إطلاق لفظ شهيد على الأستاذ

---

(١) انظر : المسلمون قادمون ص ١١٨ .

(٢) الأحباش : طائفة ضالة تنتشر في لبنان بصورة تثير الريبة ، ولها وجود في أوربا وأمريكا وكندا واستراليا ، تنتسب إلى رجل يدعى عبد الله الحبشي ، ظهرت حديثاً في لبنان مستغلة ما خلفته الحروب الأهلية من فقر وجهل في الدعوة إلى مبادئها الهدامة ، وإحياء الكثير من الأفكار والمعتقدات الباطلة التي عفى عليها الدهر ، وقد تصدى لهم عدد من علماء أهل السنة وأفتوا بضلالهم وانحرافهم . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة د: مانع بن حماد الجهني ج١ ص ٤٣٠ وما بعدها ط الثانية دار الندوة العالمية للطباعة ١٤١٨ هـ .

(٣، ٤، ٥) فتاوى معاصرة ج٣ ص ٦٩٩ وما بعدها .

«سيد قطب» رحمه الله ، فيدلل الشيخ القرضاوي على استحقاق الشهيد لهذا الوصف بقوله: إذا قلت عنه شهيد فلأنه قتل مظلوماً دفاعاً عن عقيدته ودعوته ، وفي الحديث «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»(١)، (٢).

ولم يقف الشيخ القرضاوي من الشهيد سيد قطب وآرائه موقف التقديس بل أخذ منها وترك، واتفق معه واختلف، ولكنه يؤكد على عدم انتقاصه من قدره فيقول: ولكن هذا لا يسقط اعتبار سيد قطب، أو ينزل من قيمته، أو يقصر من قامته ، أو يخفض من هامته ، فالرجل - بإجماع من أحبه ومن كرهه - عملاق من عمالقة الدعوة الإسلامية في عصرنا رضي بذلك من رضي ، وسخط من سخط (٣).

ويقول أيضاً: فأنا وإن كنت معجباً بـ«سيد قطب» ومحباً له ، ومقدراً لعبقريته وإخلاصه ، لا أقدسه كما لا أقدس «المودودي» ولا «حسن البنا» ، ولا غيرهم من المجددين(٤).

ولذلك وقف الشيخ القرضاوي معترضاً على ما قاله الشهيد في كتابه «معالم في الطريق» و «الإسلام ومشكلات الحضارة» حول الاجتهاد المعاصر ، والذي تدور فيه فكرة الشهيد بأن هذا المجتمع يرفض الحاكمية لله تعالى ، ومن ثم فإن أي بذل للجهد بحثاً عن الحلول للمشكلات القائمة يعد في نظر الشهيد عبثاً ولهواً .

وهنا انبرى الشيخ القرضاوي ليرد على الأستاذ الشهيد؛ لكنه في رده لم يتجاوز الموضوعية المطلوبة ، بل قدم بين يدي نقضه قوله : لكن الذي أقوله بصراحة : إن رأي صاحب « العدالة» أقرب إلى السداد - في نظري - من رأي صاحب « المعالم »(٥).

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بأن في إسناده الصفار، لا يدرى : من هو؟ (٣١٩٥)، ورواه الطبراني في الأوسط (٤٠٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٤) من طريق رواها الخطيب في تاريخه. وحسنه الألباني أيضا في صحيح الجامع (٣٦٧٦،٣٦٧٥).

(٢، ٣، ٤) المرجع السابق ج٢ ص ٧٠٠.

(٥) انظر : الاجتهاد المعاصر ص ١٣١ .

ثم يقول : وهو على كل حال في رأيه هذا مجتهد في طلب الحق وبيانه ، وهو اجتهاد بشر غير معصوم ، فيؤخذ منه ، ويرد عليه ، ولكنه غير محروم من الأجر ، أصاب أم أخطأ ، رحمه الله وجزاه بنيته واجتهاده خير ما يجزي العاملين المخلصين .

ويقول : إن صاحب هذا الرأي رجل عزيز على أنفسنا ، حبيب إلى قلوبنا، لأنه قدّم الكثير للفكر الإسلامي ، ثم قدَّم حياته ودمه فداء لدعوة الإسلام، وكلمة الإيمان ، ذلكم هو الشهيد « سيد قطب » عليه رحمه الله ورضوانه[1] .

٩ - أبو الأعلى المودودي :

يعد أبو الأعلى المودودي علماً من أعلام الدعوة البارزين، والمفكرين المبدعين، والأدباء الموهوبين في العصر الحديث، وكان للأستاذ المودودي حضور بارز على الساحة الإسلامية، واستطاع أن يترك أثراً بالغاً في المكتبة والثقافة الإسلامية؛ بكتبه ورسائله التي شرقت وغربت، حتى انتفع بها الخاصة والعامة، والأفراد والجماعات .

والشيخ القرضاوي من الشخصيات التي أعجبت بشخصية الأستاذ المودودي، وكثيراً ما يتحدث الشيخ عن هذه الشخصية في كتبه وخطبه ومحاضراته، كما أنه ينقل عنه، ويستشهد بكلامه، ويستأنس بمواقفه، ويثني على جهده وجهاده .

وحين يتحدث الشيخ القرضاوي عن الأستاذ المودودي فعادة ما يصفه بالأستاذ أو الشيخ أو الإمام، وللشيخ القرضاوي كتاب أفرده للحديث عن المودودي وفكره [2].

وحين تحدث الشيخ القرضاوي في كتابه « أمتنا بين قرنين » عن الدعاة المصلحين، والأئمة الربانيين، الذين عملوا في ميدان الإصلاح والتربي، وكانت

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٠١ .

(٢) الكتاب تحت الطبع وهو بعنوان (نظرات في فكر الإمام المودودي) .

أعمالهم موقظة للقلوب، محركة للمشاعر، مصححة للمفاهيم، مقاومة للاستعمار، جعل الشيخ القرضاوي ضمن هؤلاء الإمام المودودي، فقال : ويذكر منهم المفكر المجدد، صاحب النظر العميق، والتحليل الدقيق، ناقد الحضارة الغربية على بصيرة، والداعي إلى نظام الإسلام عن بينة. صاحب الكتب والرسائل التي ترجمت إلى عشرات اللغات، الذي وقف في وجه دعاة (التغريب) و(أعداء السنَّة) والمنادين بنبوة جديدة (القاديانيين)، و(المرتزقة) من الخرافيين والقبوريين، و(مشوِّشي الفكر) من المقلدين الجامدين[1].

وقد جعل الشيخ القرضاوي الإمام المودودي رجل فكر من الطراز النادر، والنوع المميز، فقال : فقد عالمنا الإسلامي في غرة ذي القعدة سنة ١٣٩٩هـ الموافق ٢٣ / ٩ / ١٩٧٩م مفكرا إسلاميا عالميا فذا، قلما يتكرر مثله في الأمم. ذلكم هو الأستاذ أبو الأعلى المودودي[2].

وإذا كان من المفكرين من يكتفي بالجانب النظري، مكتفياً أن يكون هذا الفكر وليد كُتُب تُقْرأ، أو محاضرات تُسمع، أو كلمات تحفظ، فإن المودودي لم يكتف بهذا الجانب بل سلك الجانب الآخر وهو جانب العمل والحركة، وهذا مما أعجب به القرضاوي في شخصية المودودي، يقول الشيخ القرضاوي: وميزة أخرى للمودودي بين المفكرين: أنه لم يكن مجرد مفكر أكاديمي، أو مصلح نظري، يعيش في برج عاجي، أو في صومعة منعزلة، يفرغ فكره الإصلاحي على الورق، ثم لا يتحمل تبعة بعد ذلك، لقد كانت للمودودي بجوار رسالته الفكرية العظيمة: رسالة عملية أخرى لا تقل عظمة عن الأولى، وهي: أن يحوِّل فكره إلى حركة: وحركة إيجابية بناءة، تعمل على (تاليف الرجال) بعد تاليف (الكتب والرسائل).

كان الأستاذ المودودي أحد الرجال القلائل الذين جمعوا بين الفكر والحركة، أو بين العمل العلمي والعمل التنظيمي والدعوي[3].

---

(١) انظر : أمتنا بين قرنين ص ١٠٥، ١٠٦ .

(٢) انظر : نظرات في فكر المودودي ص ١، ٢ .

(٣) انظر : نظرات في فكر المودودي ص١٨ ، ص ٢٧، ٢٨ .

ومما أعجب به القرضاوي أيضاً في الإمام المودودي هو إدراكه لفقه الأولويات؛ هذا الفقه الذي يغفل عنه كثير من الدعاة، يقول الشيخ: والإمام أبو الأعلى المودودي كانت الأولوية عنده لمحاربة «الجاهلية» الحديثة، ورد الناس إلى الدين والعبادة بمعناها الشامل، والخضوع لـ «حاكمية الله» وحده، ورفض حاكمية المخلوقين، أيا كانت منزلتهم أو وظيفتهم، مفكرين أو قادة سياسيين، وإنشاء إسلامية متميزة، ترفض فكرة الغرب في المدنية والاقتصاد والسياسة وحياة الفرد والأسرة والمجتمع، وتتخذ منهجا خاصا في الانقلاب أو التغيير، وظهر له في ذلك كتب ورسائل جمّة، عبّرت عن فلسفته في الدعوة إلى الإسلام وتجديده، وقامت جماعته على تبنيها ونشرها[1].

وبالرغم من هذا الحب الفياض الذي ملأ جوانب القرضاوي تجاه الإمام المودودي، إلا أن الشيخ القرضاوي لم يستطع أن يمنع قلمه من إبداء بعض الملاحظات على هذا العلم الجهبذ، وهذه هي طبيعة البشر، فالكمال عزيز.

ومما أخذه الشيخ القرضاوي على الإمام المودودي - وغيره من الدعاة - قسوته وشدته في الحكم على التاريخ الإسلامي ومبالغته في نقده، وتضخيم بعض هنّاته، وإخفائه حسناته، يقول القرضاوي: نذكر من هؤلاء الدعاة الكبار: ثلاثة لهم باعهم الطويل، وجهادهم النبيل، في سبيل الدعوة إلى الإسلام، وإحياء أمته، وإيقاظ شعوبه، ومقاومة أعدائه، وتحرير أوطانه، وتوحيد كلمة الأمة على الإسلام، وتصحيح مفاهيمها المغلوطة عنه، وتجنيد أبنائها للدفاع عنه، والتضحية في سبيل إعلاء كلمته بالنفس والنفيس، جاعلين صلاتهم ونسكهم ومحياهم ومماتهم لله رب العالمين.

هؤلاء الثلاثة هم الأساتذة: أبو الأعلى المودودي، سيد قطب، محمد الغزالي[2].

---

(١) انظر: في فقه الأولويات ص ٢٣٠.

(٢) انظر: تاريخنا المفترى عليه ص ٤٦.

وبعد أن يعد الشيخ القرضاوي هؤلاء الأعلام الثلاثة، يتجه إلى الإمام المودودي وكلامه في كتاب الخلافة والملك فيقول: أول هؤلاء الدعاة هو العلامة الكبير الشيخ أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية مؤسسها في الهند الكبرى.

والحق أنني عندما قرأت كلام الأستاذ المودودي عن التاريخ الإسلامي، وعن الحضارة الإسلامية: قفّ شعري، وارتعدت فرائصي! وإني لأعجب كل العجب أن يغلو في حكمه هذا الغلو، على فضله وسمو منزلته، وعلو كعبه في سعة العلم، وعمق الفكر، وامتلاك الحاسة النقدية[1].

ولكن الشيخ القرضاوي مع هذا النقد الواضح للإمام المودودي، يعود ثانية وينصح بقراءة فكره على تؤدة، وجمع المتفرق من كلامه، وضم بعضه إلى بعض، حيث يظهر إنصاف للتاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية، والخلافة الإسلامية، يقول القرضاوي: والإمام أبو الأعلى المودودي - برغم شدته المفرطة على التاريخ الإسلامي، وقسوته البالغة في نقد الحضارة الإسلامية - لم يملك رحمه الله إلا أن يعترف بإسلامية الشعوب، وبتأثير الإسلام في كثير من الملوك والحكام، كما أقر بكثرة الأتقياء والصالحين منهم، كما لم يعرف في تاريخ آخر.

ولهذا أنصح من يقرأ للعلامة المودودي: أن يضم كلامه بعضه إلى بعض، حتى يخرج من مجموعه بصورة تكشف عن حقيقة رأيه، ولا يقتصر على ما سطره في كتاب أو كتابين من كتبه الغزيرة، أو في موضع واحد من كتاب، دون أن يقرأ ما كتبه في موضع آخر[2].

وكما دافع الشيخ القرضاوي عن الشهيد سيد قطب فيما عرف بالحاكمية، دافع كذلك عن الإمام المودودي، وذكر الشيخ القرضاوي أن هذه الحاكمية ليست من اختراع المودودي ولا قطب، وإن كان المودودي أول من نادى بها، وقطب اقتبسها منه، إلا أن الفكرة كما يقول القرضاوي: صحيح أن قضية (الحاكمية) قد ألح عليها الأستاذ المودودي إلحاحا بينا، حتى تكاد تعتبر هي المحور المركزي الذي يدور حوله كثير من أفكاره ونظراته.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٤٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٦٨، ٦٩، وانظر: نظرات في فكر المودودي ص٥٧.

والفكرة في ذاتها إسلامية أصولية صحيحة، وقد سبق أن قررها علماء أصول الفقه من قرون[1].

وبعد أن يطيل الشيخ القرضاوي النقل من كلام الإمام المودودي عن الحاكمية ، يعود ليقرر أن نظرة المودودي للحاكمية هي نظرة القرضاوي إليها، فيقول: أعتقد أننا وجدنا المودودي - في هذه النقول التي أوردناها - ينظر إلى موضوع الحاكمية نظرتنا إليها، ويتيح للعقل المسلم أن يكون له دور في التشريع أو التقنين للأمة عن طريق الاجتهاد، الذي لا زال بابه مفتوحا لأهله في محله[2].

خامساً : شخصيات لها أثر في حياته الدعوية :

تأثر الشيخ القرضاوي في حياته الدعوية بأشخاص عدَّة ، ظهر ذلك واضحاً في منهجه الدعوي، وأسلوبه الخطابي، وحياته الفكرية والروحية والتربوية، وقد اختلفت هذه الشخصيات في توجهاتها المدرسية، فمنها: شخصيات غلب عليها الجانب الروحي، وأخرى غلب عليها الجانب الفكري، وثالثة تمثل الجانب الحركي ، بعضها صوفي الوجهة ، وبعضها سلفي الاتجاه ، لكن الحق يقال : إن القرضاوي لم يقلد واحداً منهم ، ولم يتقمص شخصية أحدهم ، بل صهرت هذه الشخصيات في بوتقة واحدة أفرزت شخصية مزجت هذه الشخصيات كلها، فأسفرت عن شخصية جديدة هي: الشخصية «القرضاوية».

ومن أهم هذه الشخصيات :

١ -الإمام الغزالي :

تعرف القرضاوي على حجة الإسلام أبي حامد الغزالي مبكراً في صباه ، إذ يقول عن أول معرفته به : شاء القدر أن يهيئ لي كتابين كلاهما للغزالي:

أحدهما: وجدته بين كتب زوج خالتي وكان رجلاً صالحاً، حافظاً لكتاب الله ، هذا الكتاب هو «منهاج العابدين».

---

(١) انظر: نظرات في فكر المودودي ص٦٦ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص٧٢ .

والثـــاني: «إحياء علوم الدين» فقد كان يقتنيه جار لنا من نبهاء أهل القرية؛ وهو الشيخ « بيومي العزوني » ، ولما رآني الشيخ بيومي حريصاً على الكتاب تركه لي هدية [١].

وقد تملك إعجاب القرضاوي بالغزالي جميع جوانبه ، حتى عدّه عالماً موسوعياً فيقول : وهو بلا ريب أحد أعلام الفكر الإسلامي بوجه عام ، كما أنه أحد العباقرة الذين تعددت جوانب نبوغهم وعطائهم ، الجامعين للمعرفة الموسوعية التي شملت العلوم الشرعية في عصره ، إذا استثنيت علم الحديث الذي اعترف « الغزالي » أن بضاعته فيه مزجاة [٢].

وعلى الرغم من تأثر القرضاوي بكتابات «الغزالي» لدرجة الرقة والبكاء بالرغم من هذا كله؛ فإن هذا التأثر لم يمنع القرضاوي من إظهار ملاحظاته على ما في هذه الكتب وغيرها فيقول عن كتاب «منهاج العابدين »: وقد وجدت متعة كبيرة في قراءة هذا الكتاب ، واستعنت به في دروسي ووعظي في تلك المرحلة ، وإن كان لي عليه مآخذ وملاحظات وخصوصاً في باب التوكل والزهد ، وما فيه من توجيهات حكايات تتسم بالمبالغة والإفراط.

ويقول عن الإحياء : كتاب الإحياء الذي أمسى غذاءنا وفاكهتنا عصر كل يوم في إجازات الصيف وخصوصاً ربع «المهلكات» وربع «المنجيات» منه، مع تحفظي شخصياً على بعض ما فيه من غلو لم يكن ملائماً لطبيعتي [٣].

ويقول أيضا مؤكداً إصابة «الغزالي» ببعض آثار الفلاسفة: ومع هذا لم يسلم «الغزالي»، بعد خوض هذه اللجج العميقة ، ومصارعة هذه التيارات والأمواج المتلاطمة، من أن يصيبه بعض الآثار، أو بعض الجراحات، وإن لم يعترف هو بشيء من ذلك، ولكن شأن الإنسان أن يتأثر ويؤثر، شعر أم لم يشعر[٤].

---

(١) انظر : الحياة الربانية والعلم ص ٨ ، ٩ بتصرف.
(٢) انظر : الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه ص ١٩ .
(٣) انظر : الحياة الربانية والعلم ص ٨ .
(٤) انظر : ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ص ٨٨ ، ٨٩ .

٢، ٣ - ابن تيمية وابن القيم: [١]

استطاع القرضاوي أن يجمع إلى روحانية «الغزالي» سلفية كل من ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وربانيتهما، ويرى أن «أبرز من دعا إلى السلفية ودافع عنها في العصور الماضية هو: شيخ الإسلام «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم»[٢].

ويرى القرضاوي أن انتماءه لمدرسة «ابن تيمية» و«ابن القيم» تكميلٌ لمدرسة «الغزالي» لا هدم لها فيقول حفظه الله: وبعد أن أتيح لي الاطلاع على مدرسة شيخ الإسلام «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم» وغيره، وجدت فيها ألواناً من التجديد لم تكن في مدرسة الإمام «الغزالي»، واعتبرت أن هذه المدرسة تكمل السابقة، وبينهما تكامل لا تضارب، وتناسق لا تنافر، وهذا لعله نهج لي في مساري الفكري، فأنا لا أتعصب لمدرسة بعينها، ولا لشيخ بعينه، بل أنظر إلى الجميع نظرة من يأخذ من كل واحد خير ما عنده، على نهج ما قال بعض السلف الصالح: خذ ما صفا ودع ما كدر[٣].

وكانت النظرة الشمولية التجديدية المتوازنة من أهم ما لفت نظر القرضاوي في مدرسة «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم» ويؤكد ذلك قائلاً: اتصلت اتصالاً أعمق بالمدرسة السلفية وإماميها المجددين: «ابن تيمية» وتلميذه «ابن القيم»، وقد أعجبت بالنظرة الشمولية التجددية المتوازنة في هذه المدرسة، ومقاومتها لما دخل على الإسلام من تحريفات وانحرافات في الفكر أو في السلوك[٤].

وقد أعلن القرضاوي حبه الفائض لشيخ الإسلام فقال: والإمام

---

(١) أدمجت الحديث عن ابن القيم وشيخه لأن الشيخ القرضاوي كثيراً ما يتحدث عنهما معاً، ونادراً ما يفرد القول عن أحدهما.

(٢) انظر: أوليات الحركة الإسلامية ص ٩٧.

(٣) انظر: لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر ج١ ص ١١٥.

(٤) انظر: الحياة الربانية والعلم ص١٠.

«ابن تيمية» من أحب علماء الأمة ـ بل لعله أحبهم ـ إلى قلبي وأقربهم إلى عقلي[1].

وينكر الشيخ على من يحاول إظهار الجانب العلمي والفكري فقط في حياة كل من الإمامين المباركين ، لذا فتراه يعبر عن هذا الظلم بقوله : كما أن من الظلم للشيخين أن يذكر الجانب العلمي والفكري في حياتهما، وتنسى الجوانب الأخرى المضيئة في سيرتهما الحافلة، ينسى الجانب الرباني الذي جعل رجلاً مثل «ابن تيمية» يقول: إنه لتمر علي أوقات أقول فيها: لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه لكانوا في عيش طيب! ويقول في محنته وسجنه : ماذا يستطيع خصومي أن يصنعوا بي؟ سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة !

فهو رجل رباني ذوّاق ، وكذلك تلميذه «ابن القيم» كما يلمس ذلك كل من قرأ كتبه، وكان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

وينسى جانب الدعوة والجهاد في حياتهما ، وقد شهد « ابن تيمية » بعض المعارك العسكرية بنفسه مشاركاً ومحرضاً ، وعاش الإمامان مجاهدين لتجديد الإسلام ، وأدخلا السجن في ذلك عدة مرات حتى مات شيخ الإسلام في سجنه عام ٧٢٨ هـ [2].

ويقول في كتاب آخر : وكان « ابن تيمية » وتلميذه من كبار الأئمة الربانيين أرباب القلوب الحية ، والنفوس الذكية ، والأرواح الموصلة بالملأ الأعلى[3].

ويتأثر الشيخ بأقوال الإمامين وأفعالهما فتراه يعلق بتعليقات تظهر مدى إعجابه وتقديره، فيقول معلقا على موقف الإمام «ابن تيمية» عندما مر على جنود التتار ورآهم سكارى وقد أنكر البعض عليهم ، فقال « ابن تيمية »: دعهم في سكرهم فإنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء

---

(١) انظر : كيف نتعامل مع السنة ص ١٧

(٢) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ٩٩ .

(٣) انظر : التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ص ٨٤ .

تصدهم الخمر عن قتل الأنفس ونهب الأموال، قال القرضاوي معقباً : وهذا هو الفرق بين «الفقيه الحرفي» أو ما سميته «فقيه الأوراق» وبين فقيه الحياة أو فقيه الميدان والمعركة ، الأول أنكر المنكر الذي رآه دون اعتبار للمقصد والواقع ، والثاني نظر إلى الواقع في ضوء المقاصد فقال ما قال (١).

ويذكر الشيخ القرضاوي كلام الإمام «ابن القيم» في « إعلامه» في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد ثم يعقب على كلام «ابن القيم» قائلاً : وهذا كلام ينبغي أن نعض عليه بالنواجذ ، وأن نواجه به الجامدين الذين يتمسحون بـ« ابن القيم» وشيخه « ابن تيمية» ، ولكنهم لم يحملوا عنهما هذه الروح ، وهذه البصيرة، التي تنظر إلى الشريعة هذه النظرة (٢).

ويعلق أيضاً على كلام شيخ الإسلام في موضوع آخر قائلاً : وهذا هو اللائق بإمام مثل ابن تيمية الذي جمع بين العقل والنقل ، ووسع علمه تراث السلف ومعارف الخلف ، وتهيأ له من أدوات المعرفة ما لم يتهيأ لغيره إلا مَنْ مَنَّ الله عليه بفضله ، وقليل ما هم(٣).

ولكن حب القرضاوي لشيخ الإسلام وتلميذه لم يمنعه من مخالفتهما ، مع بقاء الحب واستمرار التقدير ، فيقول حفظه الله : وهذا موقفي من الإمامين «ابن تيمية » و «ابن القيم»، فأنا أحترم منهجهما الكلي ، وأتفهمه تماماً ، ولكن هذا لا يجعلني آخذ بكل ما ذهبا إليه من أقوال (٤).

ويقول أيضاً معلقاً على إنكار شيخ الإسلام المجاز في القرآن والسنة :ولكني أخالفه هنا كما خالف هو الأئمة من قبله ، وكما علمنا هو أن نفكر «لا نقلد»، وأن نتبع الدليل لا الأشخاص، ونعرف الرجال بالحق ، لا الحق بالرجال ، فأنا أحب «ابن تيمية» ولكني لست تيمياً (٥).

---

(١) انظر : لقاءات ومحاورات ج١ ص ١١٠ .
(٢) انظر : المرجعية العليا للقرآن ص ٢٣٥ .
(٣) انظر : كيف نتعامل مع القرآن ص ٢٩٣ .
(٤) انظر : أولويات الحركة الإسلامية ص ٩٨ .
(٥) انظر : كيف نتعامل مع السنة ص ١٧٠ .

إن الذي يمنع القرضاوي من موافقة الإمامين في كل ما ذهبا إليه هو إنكاره للتقليد، وهذا هو روح ما دعا إليه الإمامان الجليلان ، ومن ثم فتراه يقول: ولو فعلت ذلك – الأخذ بكل ما ذهبا إليه من أقوال ـ لكنت تابعاً مقلداً لهما في كل شيء ولخالفت منهجهما الذي دعوا إليه ، وأوذيا في سبيله ، وهو منهج النظر واتباع الدليل ، والنظر إلى القول لا إلى قائله ، وأي معنى للإنكار على من قلد « أبا حنيفة » أو « مالكاً » إذا قلدت أنت « ابن تيمية » أو « ابن القيم » ؟![1]

ومن الأمور التي خالف فيها القرضاوي كلاً من الإمامين الجليلين ؛ قضية الغناء ، ولهذا قال القرضاوي بعد أن ذكر موقف الإمام « ابن القيم » : وأحب أن أقرر هنا : أني من تلاميذ مدرسة الإمامين المجددين : شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية، وتلميذه الإمام أبي عبد الله بن القيم . ولكن تلمذتي لهما تعني: اتباع منهجهما، لا الأخذ بأقوالهما في كل مسألة، فهذا هو التقليد الأعمى الذي رفضاه وأنكراه .

ولقد قرأت أكثر كتب ابن القيم ونهلت من معينها ، واستفدت منها كثيراً، ومنها كتاب « إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان » وهو الكتاب الذي عرض فيه بتوسع مسألة الغناء ، وذهب إلى تحريمه ، وحمل على من أجازوه حملة شعواء ، كما اطلعت أخيراً على كتابه الآخر ، الذي صنفه مستقلاً في الموضوع ، وسماه « كشف الغطاء في مسألة الغناء» .

وإني ـ مع إعجابي بابن القيم ، وأصالة فقهه ، وخصوبة فكره ، وسعة علمه، وقوة منطقه ، وروعة أسلوبه ، وحرارة دفاعه وهجومه ـ لم أقتنع بما ساقه من أدلة لتحريم الغناء ، وكان في هذا الموقف واعظاً أكثر منه فقيهاً . وقد حاول أن يقوي الضعيف ، ويضعف القوي ، ويصل المقطوع ، ويرفع الموقوف ، ويستدل بالمحتملات ، ومع أنه رضي الله عنه أجلب بخيله ورجله ، لم يستطع أن يهدم جميع حجج المجيزين للغناء .

---

(١) انظر : أوليات الحركة الإسلامية ص ٩٩ .

إني - وإن خالفت في هذه القضية الإمام ابن القيم - لم أخالف منهجه ، وهو اتباع الدليل لا اتباع الرجال . ولا عصمة لأحد دون رسول الله ﷺ [١].

٤ – حسن البنا : « أعظم الشخصيات التي أثرت في فكري ومشاعري وسلوكي هي شخصية الإمام حسن البنا »[٢] . هكذا قال الشيخ القرضاوي عن شيخه الإمام « حسن البنا » .

لم يكن الكلام هو كلام الشيخ القرضاوي وحده ، بل هو كلام الدعاة المربين والعلماء الربانيين ، لقد وصفه « الغزالي » رحمه الله بأنه مجدد القرن الرابع عشر الهجري ، وقال عنه الشيخ « أبو الحسن الندوي » « الداعية العبقري » ، وقال عنه الأستاذ « عمر التلمساني »، « القائد الملهم الموهوب »، وما أجمل قول الشهيد سيد قطب حين وصفه بقوله: في بعض الأحيان تتبدد المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور وحكمة مدبرة في كتاب مسطور « حسن البنا » إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه ... ولكن من يقول إنها مصادفة ، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هو البناء و إحسان البناء بل عبقرية البناء ؟

وما أجمل ما قاله هو عن نفسه حين سأله أحد الصحفيين ما أنت ؟ فقال : أنا سائح يبحث عن الحقيقة ، وإنسان يفتش عن معنى الإنسانية في الناس بمصباح « ديوجين » فنادى في الناس : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وكغيره أعجب القرضاوي بإمامه « البنا »؛ بل إنه يجعل لقاءه بالبنا إحدى حادثتين مهمتين كانتا في عام واحد ، الحادثة الأولى: لقاؤه بالإمام « حسن البنا » والحادثة الثانية: وفاة أمه [٣].

وكان أول لقاء رأى فيه القرضاوي شيخه « البنا » وهو في السنة الأولى من

---

(١) انظر : فقه الغناء والموسيقى في ضوء القرآن والسنة ص ٦٤ ، ٦٥ .
(٢) انظر : لقاءات ومحاورات ج ١ ص ١١٥ .
(٣) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ص ١٥٩ وما بعدها.

المرحلة الابتدائية حين زار الإمام «طنطا»، وقد أولع القرضاوي بما سمع من حديث عن الهجرة ، لم تسمع أذناه مثله من قبل .

وعندما يتحدث القرضاوي عن إمامه فيصفه بأنه «القائد المنتظر » وأنه «رجل المرحلة »، إنه يرى أن «حسن البنا» كان قدراً مصنوعاً وحكمة مدبرة لبعث هذه الأمة ؛ لذا فهو يقول : كان القدر الأعلى يصنع على عينه رجلاً يعده لمهمة ، ويسد به ثغرة ، كان الرجل هو «حسن البنا»، وكانت المهمة هي إيقاظ الأمة من رقود ، وبعثها من همود ، وتحريكها من جمود ، وبعبارة أخرى إحياء عقل الأمة وضميرها ، وتفجير طاقاتها المكنونة بتجديد الإسلام فيها ، وجمعها على رسالته ، والإيمان به هدفاً ومنهاجاً للحياة ، والجهاد في سبيل تمكينه في الأرض .

كانت الأمة في حاجة إلى عقل جديد ، وقلب جديد ، وعزم جديد ، ودم جديد ، وكانت في حاجة إلى أن تتجسد هذه المعاني في رجل يضع يده في يد الله ، لينير له الطريق ، ويهديه السبيل (١).

ويقول أيضاً : وقد كان وضع العالم الإسلامي عامة ووضع مصر خاصة يحتاج إلى رجل ذي فكر ثاقب ، وحس مرهف ، وإيمان دافق ، وإرادة صلبة ، يشعر بما تعانيه الأمة من أمراض وآلام ، ويقدر على تشخيص الداء ، ووصف الدواء ، ويصبر على متابعة مريضه ، حتى ينتقل به من مرحلة السقام إلى العافية؛ ومنها إلى مرحلة القوة ، كان هذا الرجل المنشود أو القائد المنتظر هو «حسن البنا»(٢).

ولقد كان القرضاوي حريصاً كل الحرص على سماع الإمام البنا ، وقد سافر أكثر من مرة ليستمع إليه في مدن الوجه البحري بمصر ، وحين يسمع القرضاوي شيخه وهو يقول : «الناس في حاجة إلى رجل ذي قلب يفيض من قلبه على

---

(١) انظر : الإخوان المسلمون ص ٤٨ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٤١ .

قلوب من حوله ، ومن هذا الفيض الرباني يفيضون على من حولهم ، وبهذا يتحولون من حال إلى حال ، ويخرجون من الظلمات إلى النور » ، فيعقب قائلاً : وكأن حسن البنا يتحدث عن نفسه ، فهو الرجل المنشود « ذو القلب » ، كما أنه أيضاً « ذو العقل »، والإسلام أبداً يقوم على القلب النقي ، و العقل الذكي ، وهما يثمران العزم النقي ، والسلوك السوي [١].

ويرى القرضاوي في الإمام الشهيد قائداً بالفطرة والخبرة والثقافة ، فيقول وهو يعدد عوامل نجاح حركة الإخوان المسلمين : ومن ضمن هذه العوامل: قائد مرب بفطرته وبثقافته وبخبرته ، وهبه الله شحنة إيمانية نفسية غير معتادة، أثّرت في قلوب من اتصل به ، وأفاض من قلبه على قلوب من حوله ، وكان أشبه بـ« المُوَلِّد » أو « الدينامو » الذي ملأ منه الآخرون بطاريات قلوبهم [٢].

ويرى القرضاوي أن وظيفة إمامه كانت هي البناء ، و أن الإمام كان له من اسمه نصيب فيقول : كان حسن البنا مؤسس الحركة له من اسمه نصيب أي نصيب، فكان حقاً رجل بناء لا رجل هدم ، ورجل عمل لا رجل كلام ، ورجل واقع لا رجل خيال [٣].

وقد أعجب القرضاوي كذلك بإيجابية الإمام البنا فيقول : هكذا أراد البنا لدعوته وحركته أن تكون دعوة عمل وبناء وإنتاج ، لم يرد لها أن تكون مجرد حركة أكاديمية أو فلسفية ، تعيش في أبراج عاجية تتخيل جمهورية مثالية ، كجمهورية أفلاطون ، أو مدينة فاضلة كمدينة الفارابي ، وإن كان للفكر والعلم فيها مكان أي مكان [٤].

كل هذه الميزات جعلت القرضاوي معلق القلب بشيخه ، ويصارع الأيام التي تعوقه من الذهاب من طنطا إلى القاهرة ، ليزداد قرباً من شيخه وإمامه ،

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ٤٩ .
(٢) انظر : التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ص ٥ .
(٣) انظر : المرجع السابق ص ٦٨ .
(٤) انظر : المرجع السابق ص ٧٧ .

يقول القرضاوي: وكم كنت معلق القلب بذلك اليوم الذي أفرغ فيه من دراستي الثانوية بطنطا وألتحق بجامعة الأزهر ، حيث تتاح لي فرصة اللقاء والملازمة والتتلمذ المباشر للإمام البنا ، ولكن القدر كان يخبئ شيئاً آخر للرجل الكبير ؛ وهو الشهادة في سبيل الله[١].

ولكن تعلق القرضاوي بالبنا إنما كان لعطائه وإخلاصه وتعدد مواهبه وملكاته ، لذا فإن القرضاوي يؤكد أن شخصية البنا هي الشخصية الوحيدة الحية التي تأثر بها ، وأعجب بها ، ولم ترتق شخصية أخرى من الأحياء إلى هذا المستوى ، يقول حفظه الله : والحق إني لم أعجب بشخصية حية لقيتها وتأثرت بها كما أعجبت بشخصية الشهيد «حسن البنا» ، الذي أتاه الله من المواهب والملكات ما تفرق في عدد من الشخصيات[٢].

ويعدد الشيخ مواهب إمامه فيذكر أنه : جمع بين العلم والتربية ، ومزج بين الفكر والحركة ، وربط بين الدين والسياسة ، ووصل ما بين الروحانية والجهاد، وكان النموذج الحي للرجل القرآني، والمعلم الرباني، والمجاهد الإسلامي، والداعية العصري، والمنظم الحركي، والمناضل السياسي، والمصلح الاجتماعي[٣].

ويرى القرضاوي أن «حسن البنا» رحمه الله استطاع أن يجمع في الصفوف بين السلفية والصوفية ، وأن يطعم كل واحد من الآخر ، فهو يقول معقباً على كلام الأستاذ محمد المبارك رحمه الله نسلف الصوفية ، ونصوف السلفية : وأحسب أن هذا ما حاول الإمام «حسن البنا» الذي كان يجمع ـ في رأيي ـ عقلية السلفي الملتزم ، وروحانية المتصوف المحلِّق[٤].

هذه الأمور وغيرها جعلت القرضاوي يبحث عن تراث البنا، وكلما وجد كلمة أو رسالة أو محاضرة قرأ ما فيها واستوعب ما كتب، وهو شديد اللوم على ورثة الإمام الشهيد وعلى جماعة الإخوان لأن تراث الإمام لم يجمع إلى وقتنا هذا[٥].

---

(١) انظر : شمول الإسلام ص ٦ .

(٢، ٣) انظر : المرجع السابق ص ٧ .

(٤) انظر : الحياة الربانية ص ٢٢ .

(٥) انظر : المرجع السابق . وانظر : الإخوان المسلمون ص ٥٠ .

وقد ترجم القرضاوي إعجابه بإمامه وتراثه إلى تراث مكتوب ، ولعل ذلك يبدو ظاهراً ، فيما كتبه الشيخ عن الجماعة والإمام في كتابيه: «الإخوان المسلمون » و «التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا » .

ويؤكد الشيخ أن أروع ما قرأه للإمام هو رسالة التعاليم فيقول : وكان مما شدني وبهرني من تراث الإمام «البنا» : رسالته الفريدة المركزة التي أرسى بها دعائم العمل الحركي الجماعي وهي رسالة التعاليم[1].

وقد قام الشيخ بشرح هذه الأصول العشرين التي حوتها رسالة التعاليم في سلسلة تحت عنوان نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام صدر منها :

١ – شمول الإسلام .

٢ – المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة .

٣ – موقف الإسلام من الإلهام والكشف .

٤ – السياسة الشرعية .

٥ – موقفنا من التراث .

٦ – فصول في العقيدة.

ولما كان القرضاوي شاعراً أديباً لم ينس أن يثني على شيخه فنظم قصيدة ألقاها في شعبة الإخوان بطنطا بحضور المرشد كان عنوانها : يا مرشداً قاد بالإسلام إخواناً ، ومما جاء فيها :

يا مرشداً قاد بالإسلام إخوانًا ... وهز بالدعوة الغراء أوطانا

يا مرشداً قد سرت في الشرق صيحته ... فقام لعد منام طال يقظانا

فكان للعرب والإسلام فجر هدى ... وكان للغرب زلزالاً وبركانا

ربيت جيلاً من الفولاذ معدنه ... يزيده الضغط إسلامًا وإيمانا [2]

---

(١) انظر : شمول الإسلام ص ٨ .

(٢) انظر : نفحات ولفحات ص ٣٦ .

كما نظم قصيدة أخرى صدر بها ديوانه الثاني وجعله الإهداء إلى إمامه، قال فيها:

لك يا إمامي يا أعز معلم ... يا حامل المصباح في الزمن العمي!
يا مرشد الدنيا لنهج «محمد» ... يا نفحة من جيل الأرقم!
أهديك نفسي في قصائد صغتها ... تهدى وترحم فهي أخت الأنجم
حسبوك مت وأنت حي خالد ... ما مات غير المستبد المجرم[1]

وبالرغم من كل هذا الحب، فلم يكن القرضاوي مقدساً لشيخه أو مدعياً له العصمة، وهو القائل في أصوله العشرين: كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ، لذا فتراه يقول: و«حسن البنا» نفسه لم يكن جامداً بل كان دائم التجديد والتطوير والأساليب في أبنية الحركة ومؤسساتها وأنظمتها، ولن يضيق الشهيد «حسن البنا» في قبره إذا خالفه بعض أبنائه وأتباعه في قضية من القضايا التي كان له فيها رأي من قبل[2].

أعماله ونشاطه الدعوي في مصر:

نشاط الشيخ القرضاوي بدأ مبكراً، ولكن الحديث هنا عن نشاطه الرسمي، فقد قام الشيخ بالخطابة والتدريس في مساجد الأوقاف بمصر سنة ١٩٥٦م، ثم أصبح مشرفاً على معهد الأئمة التابع لوزارة الأوقاف المصرية.

تم اختيار الشيخ من قبل الإدارة المالية للثقافة الإسلامية بالأزهر عام ١٩٥٩م للإشراف على مطبوعاتها، والعمل بالمكتب الفني وتولي الرد على الشبهات التي تثيرها الصحافة حول الإسلام.

أعماله ونشاطه الدعوي خارج مصر:

بعد تضييق الخناق على شباب الحركة الإسلامية في مصر، كانت سياسة البلد وقتها فتح الأبواب لهؤلاء الشباب للخروج من مصر، فأعير الشيخ إلى دولة

---

(١) انظر: المسلمون قادمون ص ٥، ٦.
(٢) انظر: أوليات الحركة الإسلامية ص ١٠٣.

قطر في عام ١٩٦١م عميداً لمعهدها الديني الثانوي ، استمر عمل الشيخ بالمعهد حتى عام ١٩٧٣م وقد جمع الشيخ في المعهد بين الأصالة والمعاصرة والقديم والجديد .

وفي سنة ١٩٧٣م تم إنشاء كلية التربية ، فاختير الشيخ ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه .

وفي عام ١٩٧٧م أسست كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وهي بمثابة كليتين في كلية واحدة فهي تجمع بين كلية أصول الدين والشريعة ، فاختير الشيخ عميداً لها وظل كذلك حتى عام ١٩٩٠م .

ثم أصبح الشيخ مديراً لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر منذ أن تأسس إلى وقتنا هذا .

وفي عام ١٩٩٠م أعير الشيخ إلى الجزائر بطلب من الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – فترأس مجالسها العلمية لجامعتها ومعاهدها الإسلامية .

إلى جانب هذا فإن الشيخ يُعد عضواً أو نائب رئيس أو رئيساً لعدد غير قليل من المجالس والمراكز والهيئات والمؤسسات التربوية والدعوية والاقتصادية ومن ذلك :

- عضو بالمجلس الأعلى للتربية في قطر ، لعدة سنوات .
- عضو مجلس إدارة مركز بحوث إسهامات المسلمين في الحضارة في قطر.
- عضو مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- خبير المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة .
- عضو مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية بإسلام آباد .
- عضو مجلس الأمناء لمركزالدراسات الإسلامية في أوكسفورد .
- عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية «مؤسسة آل البيت» بالأردن.

- عضو رابطة الأدب الإسلامي .
- عضو مؤسس لجمعية الاقتصاد الإسلامي بالقاهرة .
- عضو مؤسس للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت وعضو مجلس إدارتها.
- عضو مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا ومركزها الخرطوم .
- عضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لعدة سنوات .
- نائب رئيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة بالكويت لعدة سنوات .
- رئيس مجلس إدارة صندوق قطر الإسلامي للزكاة والصدقة لعدة سنوات.
- رئيس مجلس أمناء الوقف الإسلامي لمجلة المسلم المعاصر وعضو هيئتها الاستشارية .
- رئيس هيئة المستشارين لمجلة « المنار الجديد » .
- عضو المجلس العلمي للكلية الأوربية للدراسات الإسلامية في فرنسا .
- رئيس مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية الأمريكية .
- عضو هيئة الرقابة الشرعية لشركة الراجحي للاستثمار بالمملكة العربية السعودية.
- رئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف قطر الإسلامي .
- رئيس هيئة الرقابة الشرعية لبنك قطر الإسلامي الدولي .
- رئيس هيئة الرقابة الشرعية للبنك الإسلامي الأول بالبحرين .
- رئيس هيئة الرقابة الشرعية لبنك التقوى بالبهاما .
- رئيس الهيئة الشرعية الموحدة لمجموعة البركة .
- رئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف أبو ظبي الإسلامي .

- رئيس مجلس إدارة جمعية البلاغ الثقافية لخدمة الإسلام على الإنترنت.
- رئيس مجلس أمناء الهيئة العامة لجمعية البلاغ الثقافية لخدمة الإسلام على الإنترنت.
- رئيس المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث.
- رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- ومشاركات أخرى كثيرة لا يتيسر حصرها [1].

جـوائـــزه:

نظراً للثقة التي يتمتع بها القرضاوي بين العاملين في الحقل الإسلامي فقد رشح الشيخ لكثير من الجوائز، ونال عدداً غير قليل منها من عدة جهات عربية وإسلامية قدرت جهوده في خدمة العلم والدين والأمة، منها:

١ - جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد لعام ١٤١١ هـ.

٢ - جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام ١٤١٣ هـ.

٣ - جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام ١٩٩٦ م.

٤ - جائزة السلطان حسن البلقيه «سلطان بروناي» في الفقه الإسلامي لعام ١٩٩٧ م.

٥ - جائزة سلطان العويس بدولة الإمارات العربية المتحدة عن الإنجاز الثقافي والعلمي عام ١٩٩٩ م.

٦ - جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم باختياره «الشخصية الإسلامية» لعام ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م [2].

أقوال الدعاة والمفكرين:

حسن البنا: إنه - أي القرضاوي - لشاعر فحل.

---

(١) انظر: شخصية العام الإسلامي مكتبة وهبة ط. الأولى ٢٠٠١ م ص ٣٦، ٣٧، ٣٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٨، ٣٩.

محمد الغزالي: القرضاوي من أئمة العصر ، الذين جمعوا بين فقه النظر، وفقه الأثر ، وقال أيضاً : لقد سبق القرضاوي سبقاً بعيداً ، وحينما سئل عنه قال: أنا مدرسه، وهو أستاذي . الشيخ يوسف كان تلميذي ، أما الآن فأنا تلميذه .

أبو الحسن الندوي: القرضاوي عالم محقق، وهو من كبار العلماء والمربين.

عبد العزيز بن باز: كتبه لها ثقلها وتأثيرها في العالم الإسلامي .

مصطفى الزرقا : القرضاوي حجة العصر ، وهو من نعم الله على المسلمين.

عبد الفتاح أبو غدة : القرضاوي فقيهنا ومرشدنا العلامة .

القاضي حسين أحمد : القرضاوي مدرسة علمية فقهية ودعوية، يجب أن تستفيد الأمة من نبعها الإسلامي العذب .

طه جابر العلواني : القرضاوي فقيه الدعاة ... وداعية الفقهاء .

عبد السلام الهراس : القرضاوي القيادة الحكيمة في مسيرة التأصيل والتجديد والتوحيد .. ويعد من أعظم ثمار دعوة الإمام الشهيد حسن البنا .

عبد الله العقيل : القرضاوي رجل المرحلة وفقيه العصر .

عبد المجيد الزنداني : القرضاوي عالم مجاهد .

عبد القادر العماري : القرضاوي فقيه التيسير .

محمد عمر زبير : القرضاوي حامل لواء التيسير في الفتوى ، والتبشير في الدعوة.

محمد فتحي عثمان : القرضاوي الفقيه الداعية.. البصير بالواقع المعيش.

عادل حسين : القرضاوي فقيه الوسطية في عصرنا .

عبد الله بن بيه : القرضاوي إمام من أئمة المسلمين، وضمير الأمة .

راشد الغنوشي : القرضاوي في كلمة واحدة: إمام مجدد ، وهو لسان الصدق الذي أماط اللثام عن منافقي تونس .

عـدنان زرزور : القرضاوي الموفق .. فقيه العصر ومجتهده الأول ، لقد جمع بين دقة الفقيه ، وحماسة الداعية ، وجرأة المجدد ، وإقدام الإمام ، لقد أقام القرضاوي دولة الإسلام في الفقه والاجتهاد .

عبد الله عمر نصيف : القرضاوي قمة في العطاء .

أحمد الريسوني : القرضاوي فقيه المقاصد [1].

أسرته وأولاده :

تزوج الشيخ القرضاوي في ديسمبر عام ١٩٥٨م بزوجة صالحة أعانته على دينه وعلمه ، وقد أنتج هذا الزواج المبارك سبعة أولاد ، أربع إناث وثلاثة ذكور .

صفاته وأخلاقه :

يجدر بنا أن نعرج على أخلاق الشيخ القرضاوي وصفاته التي عرف بها ، ليس من باب المدح والثناء ، وإنما ليتأسى بهذه الأخلاق تلامذته ومحبوه ، وطلاب العلم ومحبو الخير أينما كانوا .

ومن كلام سلفنا الصالح ما يؤكد الانتفاع بأخلاق العلماء والصالحين ، هذا يونس بن عبيد يقول : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به ، وإن لم ير عمله ويسمع كلامه.

وهذا ابن وهب يقول : ما تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه .

وهذا الشافعي يقول : من وعظ أخاه بفعله كان هادياً .

وقال آخر : من لم تهذبك رؤيته فاعلم أنه غير مهذب ، ومن لم ينعشك عبيره على بعد فاعلم أنه لا طيب فيه ، ولا تتكلف لشمه .

ورحم الله ابن جماعة حين أكد على ضرورة تحلّي العالم بالأخلاق الفاضلة لاقتداء غيره به فقال : إن العلماء هم القدوة، وإليهم المرجع في الأحكام ، وهم

---

(١) انظر : القرضاوي فقيهاً عصام تليمة دار التوزيع والنشر الإسلامية ط الأولى ٢٠٠٠م ص ٢٨ ، ٢٩ .

حجة الله تعالى على العوام، وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرون ، ويقتدي بهم من لا يعلمون، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به[1].

لهذا كان من الضروري إبراز جانب من أخلاق الشيخ وصفاته ليقتدى بها.

١- حياؤه :

الحياء خلق إسلامي رائع ، كما أنه خلق فطري أصيل، وهو لا يأتي إلا بخير، وقد كان من وصف النبي ﷺ أنه كان «أشد حياءً من العذراء في خدرها»[2]، وقد نهل الشيخ القرضاوي من هذا الخلق ، وكل من جالسه وخالطه يشهد له بهذا الخلق، وحين يتحدث الشيخ عن الحياء فيقول : هو خلق فطري عندي ، ولكن الإسلام هذبه وأصله لدى الشيخ .

وقد شهد رفاق الشيخ له بهذا الخلق ؛ ومنهم العلامة عبد العظيم الديب فيقول في مقدمة كتابه «نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي» أما أخي الفاضل الكريم الدكتور يوسف القرضاوي ، فقال لي في هدوء بأسلوبه الهين اللين الحيي، والحياء من أخص شيمه[3].

٢- عفوه وسماحته :

ليس أهنأ للعبد ، ولا أروح لقلبه من أن يعيش بين الناس سليم الصدر، نقي القلب، غافراً للناس طيشهم ، متناسياً إساءتهم، هذا ما عرف به الشيخ طيلة حياته، وهذا ما أقر به من عايشه ، حدثني الشيخ عبد السلام البسيوني قال: أقمنا منذ فترة، حلقة مدارسة عرفت باسم مجالس العلماء، تطرح فيها

---

(١) انظر : أخلاق الدعاة إلى الله تعالى د : طلعت عفيفي ط الأولى دار عالم الكتب ٢٠٠٠م ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٢) ومسلم في الفضائل (٢٣٢٠) عن أبي سعيد.

(٣) انظر : نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي د : عبد العظيم الديب ص ١١ مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٩٩٧م .

قضية ما، ويعرض الجلوس من العلماء آراءهم ، وقد كان من بين الحضور الدائمين دكتور عبد العظيم الديب، ودكتور حسن عيسى عبد الظاهر،كما كان الشيخ القرضاوي دائم الحضور إلا من عذر ، وقد كان شرطي للشيخ أن يوسع صدره كعادته لطلاب العلم وشباب الصحوة من الحضور ، وفي يوم أبدى أحد الشباب اعتراضه على الشيخ وأغلظ – إلى حد ما – في كلامه ، فبدا الغضب على الشيخ واحتدّ في كلامه ، فهمست له بعد أن انتهى من كلامه وهدأ قائلاً : ما على هذا اتفقنا يا فضيلة الشيخ، وما زدت على ذلك .. فما كان من الشيخ إلا أن فاجأني وفاجأ الحضور قبل نهاية المجلس قائلاً : أين الأخ فلان ؟ ثم عانقه الشيخ معتذراً ، وما كان من هذا الأخ إلا أن قدم اعتذاره في الحلقة التالية .

وقد حاول البعض أن يستغل عفو الشيخ وسماحته ، ظانين أن هذا ضعف من الشيخ أو عجز ، وما حسبوه عفواً وصفحاً ، وما علموا أن الشيخ يبتغي بهذا الأجر من الله، يقول الشيخ حفظه الله معلقاً على تطاول البعض عليه : فلما برزت هذه العداوات التي ليس لي نصيب في تحريكها ، حمدت الله تعالى عسى أن يكتب لي بعض الأجر بما يصيبني على ألسنة هؤلاء وأقلامهم ، فإن المؤمن يثاب رغم أنفه على ما يصيبه من هم وغم وأذى ، حتى الشوكة يشاكها، يكفر الله بها من خطاياه ، وما أكثر خطاياي التي تحتاج إلى تكفير، ولا سيما أني متصدق بعرضي لكل مسلم يؤذيني ، إذا لم يكن خائناً لله ورسوله ، عميلاً لأعداء الأمة وأعداء الإسلام ، وأنا هنا أتمثل بما قاله الإمام الشافعي :

عداتي لهم فضل عليّ ومنة فلا باعد الرحمن عني الأعاديا

فهم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فارتقيت المعاليا[1]

وقد أوضح الشيخ ذلك على رؤوس الأشهاد في كلمته التي ألقاها في حفل تكريمه بجائزة الشخصية الإسلامية بدبي فقال: أما الفئة القليلة التي

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ص ١٣ .

حاولت في المدة الأخيرة أن تقذفني بالحجارة من يمين وشمال، وأن تشوش على مسيرتي، فلا يسعني إلا أن أدعو الله لهم أن يهدينا وإياهم ، ويصلح بالنا وبالهم ، وقديماً قالوا: رضا الناس غاية لا تدرك، وقال الشاعر:

ومن من الناس يرضى كل نفس وبين هوى النفوس مدى بعيد

وفى الحديث القدسى: « كذبنى ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمنى ولم يكن له ذلك... ».

وقد نشأت فى رحاب دعوة كان مؤسسها (حسن البنا) عليه رحمة الله، يدعو إلى الحب ويقول: سنقاتل الناس بالحب.

وأريد أن أؤكد هنا أنه ليس في حياتي ولا في قلبي متسع للضغائن والأحقاد على المسلمين ، ولا أشغل نفسي بمعاداة مسلم ، وإن خالفني في الاتجاه أو في الرأي ، فأنا مشغول القلب والفكر والجهد والوقت ، بأعداء الدين ، وأعداء الأمة ، وما أكثرهم[1].

والشيخ في هذا إنما يقتدي بالأئمة الأعلام والعلماء العظام ، وقد سبقه سلطان العلماء وبائع الأمراء العز بن عبد السلام حين طلب منه السلطان أن يجعله في حل وقد كانت وقعت بينهما جفوة ، وقال: يا عز الدين اجعلني في حل وادع الله لي وأوصني وانصحني . فقال العز : أما محاللتك فإني في كل ليلة أحالل الخلق ، أبيت وأنا ليس لي عند أحد مظلمة ، وأرى أن يكون أجري على الله ، ولا يكون لي على الناس عملاً بقوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى: ٤٠] ، وأن يكون أجري على الله، ولا يكون على خلقه أحب إلي[2].

وفي مقدمة الجزء الثاني من مذكراته قال الشيخ : ولم أقصد في هذه المذكرات أن أسيء إلى أحد كائناً من كان، حتى من ظلمني وأساء إلي، أنا

---

(١) انظر : القرضاوي شخصية العام الإسلامية ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى عبد الوهاب بن علي السبكي تحقيق د : عبد الفتاح الحلو، د: محمود الطناحي ج ٨ ص ٢٤٠ ط الثانية دار هجر .

متصدق عليه بما نال مني، ولا أعادي إلا من عادى الإسلام وحاربه ، وكل الناس بعد ذلك إخواني[1].

٣ - الشيخ صاحب فكاهة :

على الرغم من الواجبات التي يرتبط بها الشيخ ، والتي تزاحم أوقاته ، وعلى الرغم من جده وحزمه ، واهتمامه بأمور أمته من المحيط إلى المحيط ، إلا أنه وإيماناً بمنهجه الوسطي ، فإنه لا ينفك أن يدعم خطبه وأحاديثه ، وشعره ونثره؛ فكاهات لا تخرج عن المعقول ، ومن ذلك : لما قتل النقراشي رئيس وزراء مصر في عام ١٩٤٨م فرح الشباب بمقتله ، وكان القرضاوي الشاب وقتها قد قرض قصيدة من الشعر جاء فيها :

عبد المجيد تحية وسلام أبشر فإنك للشباب إمام
سممت كلباً جاء كلب بعده ولكل كلب عندنا «سمام»

ومن ذلك أيضاً تعليق الشيخ على أنه لا كهنوت في الإسلام ، وليس هناك رجال دين ، بل علماء دين ، فيقول: كما أنه لا «بابا» عندنا ولا «ماما»[2].

وقد سئل الشيخ عن مكان صلاة العيد مرة فقال في نادي السد ، فقيل له: غيرّت المكان وتركت نادي قطر ؛ فقال : «اللي سبأ أكل النبأ» وهو مثل مصري.

وقد ظهرت فكاهة الشيخ في شعره حتى في أوقات المحن ، وقد سجل الشيخ ذلك في قصيدته النونية حين تحدث عن طعام السجن فيقول :

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج٢ ص٧ .
(٢) هذه الكلمة كثيراً ما يذكرها الشيخ في محاضراته ودروسه .

فـفطورنا عـدس يزين بالحـصى إن الحصى فرض على التعيين[1]
قد عفته حتى اسمه وحروفه من عـــينـه أو داله والـسين
وغذاؤنا فـاصـولية ضـاقت بهـا نفـسي فـرؤية صـحنهـا تؤذيني
وعـشـاؤنا شئ يحـيـرك اسـمـه فكأنما صنعـوه من غـسلين[2]

وفـي الأرجـوزة التـي نظمـهـا الشيـخ علـى لسـان العلمانيـين وأجهـزة الاستخبارات تظهر الفكاهة واضحة، ومن هذه الأرجوزة نذكر هذه الأبيات:

أبلغ رجال الأمن حتى يزحفوا فـهـاهنا جـمـاعـة تطرفـوا
من الأصـولـيين أعـداء الوطن أخطر من جـمـيع عـباد الوثن
قـد تأمن الهندوس واليـهـودا وقـد نقـيم مـعـهم العـهـودا
إلا أولاء فـــأذاهم يحـــذرُ فـهم علينا من يهـود أخطرُ

ويقول:

حـيـاتهم أسـاسـهـا التـزمتُ وفكرهم قـوامـه التـعنتُ
تشـددوا في الدين وهو يسـر وكل فـرد في السلوك حـر[3]

ويقول في قصيدة كتبها منذ ٣٨ سنة، متغزلاً في هذه الأنثى «القلة القناوية» التي يصنعها من الفخار أهل قنا بصعيد مصر:

أنثى تروق أخـا الهـيـام حـسناء فـارعـة القـوام
جـسـم رشـيـق زانـه عنق حكى عنق النعـام
جـذابة تغـريك طلعـتـهـا فـتـدنو في اهتـمـام

---

(١) التعيين في السجن: هو ما عين لكل شخص من الطعام.
(٢) انظر: نفحات ولفحات ص ٦٣.
(٣) انظر: المسلمون قادمون ص ١١٥ و ١١٦.

وتحس أن لقـــــاءها يشـفي الصـدور من الأوام
وإذا حـرمت القـرب منهـا فـالجـوانح في ضـرام
عـرفت بطهـر القلب لم يعلق به خـبث اللئـام
ينـبـك ظـاهـرهـا بمـا في قلبـهـا وبلا كـلام
بنت الصـعـيـد كـريمة من طينة القـوم الكرام

إلى أن يقول:

أعـــرفـت من أعـني؟ لعلك قـد فـهـمت من المقـام
قـل لـي: «أبـنـت قـنـا» تـرى أم يـا تـرى بـنـت الحـرام؟

وأذكر أنني شاركت مع عدد من الشباب في نقل مكتبة الشيخ من بيته القديم إلى بيته الجديد ، ولما حضر وقت الطعام دخل علينا الشيخ بابتسامة تملئ فمه وتعلو وجهه وهو يقول: هيا إلى الطعام ، ، إذا حضر الهرس بطل الدرس!!

وأذكر كذلك أن المجلس الأعلى لشؤون الأسرة في قطر ، دعا إلى المشاركة في (مائدة مستديرة) عقدت في تاريخ ٢٢/١٢/٢٠٠٤م لمناقشة موضوع (دية المرأة في الشريعة الإسلامية) ، وقال مدير الدائرة: نبدأ بفضيلة الشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي، فقال الشيخ: لا نبدأ بالترتيب الأبجدي ، فأنا أحترم هذا الترتيب وأنا أبدأ بحرف الياء، فأنا آخر واحد إن شاء الله.

ناهيك عن ظرف مجالسه الخاصة، وابتساماته الدائمة، و «قفشاته» الرائعة.

٤ -الشيخ والوقت :

تعلم القرضاوي الاستفادة من وقته من شيخه «البنا » ، وكان مما حفظ منه

الواجبات: أكثر من الأوقات ، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته . كما حفظ منه أيضاً أن الوقت هو الحياة ، كما حفظ عن شيخه « الغزالي »: أن كل مفقود عسى أن تسترجعه إلا الوقت، وحفظ من حكم السابقين أن الزمن لا يقف محايداً؛ فهو إما صديق ودود، أو عدو لدود، فخرج القرضاوي على الناس برسالته القيمة «الوقت في حياة المسلم» ولم يكن الشيخ ليعظ غيره مهملاً نفسه، بل كان من أشد الناس حرصاً على وقته، فهو إما محاضر أو متحدث أو مناظر أو مسافر، أو كاتب أو قارئ ، لا ينفك بأي حال من الأحوال عن هذه الأمور ، ومع كثرة ترحاله ، لا يلبث أن يفاجأ الجميع بالجديد في أمور الدعوة ، كتاب في حلة جميلة، أو بحث في ثوب قشيب ، أو محاضرة من مكان بعيد ، أو إطلالة من خلال قناة فضائية ... وهكذا .

حدثني أحد الأخوة قائلاً أنه رأى أمراً عجيباً ، كان في ١٠ رمضان ١٤٢٢ هـ في مطار الدوحة مستقبلا أخاً له فرأى بين القادمين الدكتور القرضاوي، يقول فسلمت عليه وسألته عما عنّ لي من أسئلة ، ثم استقبلت أخي القادم ، وأخبرته أنني رأيت الشيخ القرضاوي وسلمت عليه ، ثم سلمت أخي سيارته ، وانطلق بها ، فلم يلبث أن فتح المذياع في سيارته فكانت المفاجأة أن يسمع الشيخ القرضاوي في المسجد الكبير بالدوحة يلقي على الناس درسه كعادته بين التراويح.

إن الرجل عائد من سفره ، لكنه لا يأوي إلى بيته للراحة وهو ابن الخامسة والسبعين ، لكنه يأوي إلى بيت الله ليعلم خلق الله .

وإن الناظر إلى كتبه يجد ما يذهله : كتب تكتب في الطائرة ، ومقالات في ساحة الانتظار ، وقصائد على فراش المرض ، إلى غير ذلك حفظه الله . وهذه بعض الكتب التي كتب لها مقدماتها وهو في جو السماء (الطائرة) :

١ – من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا .

٢ – الفتوى بين الانضباط والتسيب .

٣ – بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمغتربين .

وأذكر أنني تركته في ليلة من الليالي وكان ذلك في حدود الساعة الثانية عشرة ليلا، على أنه سيخلد إلى نومه، وما أن جئته في صباح اليوم التالي في الساعة التاسعة وإذ به يعطيني عددا من الأوراق فقلت لفضيلته: ما هذا ؟ قال: هذه مقدمة لكتاب «فصول في العقيدة» اقرأها، وقل لي رأيك فيها.

فقلت لفضيلته: ألم أترك فضيلتكم في ساعة متأخرة من الليل.

قال: نعم . وقد حاولت النوم فلم أستطع، فعدت إلى المكتب وقمت ببعض الأشياء ومنها هذه المقدمة.

٥ – روحانية الشيخ :

القرضاوي رجل داعية ، وداعية رباني ، شديد التاثر بآيات الله ، يشهد له بذلك من عرفه وعاصره ، فهو ذو نفس شفافة ، وروحانية عالية ، أشهد أني حضرت له يوماً درساً من دروس التراويح وكان يتحدث عن أنواع الأخوة ، وذكر ما حدث من إخوة يوسف ، وما وقع من كيدهم له ، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٩٠] . ففاضت عيناه من الدمع .

إن أحداً لا يستطيع أن ينكر حرارة الدعاء ، ولوعة الاستجداء ، في قنوت الشيخ في صلاة التراويح في رمضان ، لقد سمعت ـ كما سمع غيري ـ كثيراً من القراء الذين أعطوا حلاوة في الصوت ، وعذوبة في التلاوة ، وجمالاً في القراءة ، يفوق أقلهم الشيخ عذوبة وحلاوة وجمالاً في الصوت والتلاوة والقراءة ، لكن الذي يسمع الشيخ عند تلاوته يسمع شيخاً يتجاوب مع القرآن ، ويعيش مع

التلاوة ، كأنها تتنزل عليه ، وحين يرفع يديه بالدعاء؛ ترى دعاءً حاراً يخرج من قلبه ، فيرتج السامع له رجاً .

ولقد حرّك هذه الروحانية وتلك الربانية في نفس الشيخ القرضاوي ثلة من شيوخه الأقدمين والمحدثين ، بعضهم بكتبه ، وبعضهم بعمله ، ولعل كتب الإمام «الغزالي» ، وإشراقات الإمامين ابن تيمية وابن القيم ، من أكثر ما أثر في روحانيته من خلال ما كتبوا، وأشهر من أثر فيه بعمله هو الإمام البنا رحمه الله الذي يقول عنه : وقد كان الإمام البنا رحمه الله رجلاً ربانياً ، وكذلك شيخه البهي الذي قال عنه : هو رجل ذواقة للمعاني الربانية ، عميق الحاسة الروحية .

وكذلك تأثر الشيخ بشيخيه الأودن وعبد الحليم محمود رحمة الله على الجميع [1].

وقد ظهر ذلك جلياً في كتابات الشيخ كما في كتابه الرائع «الإيمان والحياة»، وشهد له بذلك شيخه البهي قائلاً : إنك تحمل قلب صوفي خدعنا عنه عقل الفقيه . وقال له أحد متصوفي الجزائر بعد حديث له عن منهج القرآن والسنة في إقامة الحياة الروحية ، لقد منحك الله شيئاً ، به يتميز كلامك عن غيره . فقال الشيخ : وما هو ؟ قال : اللوعة. قال الشيخ : وما تعني ؟ قال : في كلامك حرقة غير مصطنعة تؤثر في سامعيك وهي هبة ربانية ، يخص الله بها من يشاء من عباده .

وقال الدكتور سعيد البوطي بعد هذه المحاضرة : لقد ظهر لنا أن الشيخ القرضاوي صوفي مقنع، يريد أن يخفي صوفيته بقناع العقلانية والسلفية[2].

---

(١) انظر : الحياة الربانية والعلم ص ٩ ، ١٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٣ .

كما شهد له بذلك الداعية الرباني أبو الحسن الندوي رحمه الله حين زار الشيخ القرضاوي ندوة العلماء ودار العلوم في مدينة «لكنهو» بالهند ، وبعد كلمة القرضاوي قال له العلامة الندوي: إن الناس تأثروا بكلامك وإن لم يفهموه، لأن للكلام روحاً .

وقال له مرة : إن في كلامك روحاً وحرارة خاصة ، وهذه قلما تترجم ؛ لأن المترجم يترجم المعاني والأفكار ، ولا يترجم الحرارة والروح إلا مترجم يملك ما تملك[1].

وشعر الشيخ يفيض أيضا بهذه الروح الدافئة ، والحرارة المشتعلة ، فتراه يقول في قصيدته التي بعنوان ابتهال :

يا من له تعنو، الوجوه وتخشع ... ولأمره كل الخلائق تخضع
أعنو إليك بجبهة لم أحنها ... إلا لوجهك ساجداً أتضرع
وإليك أبسط كف ذل لم تكن ... يوماً لغير سؤال فضلك ترفع
أنا من علمت المذنب العاصي ... الذي عظمت خطاياه فجاءك يهرع

إلى أن يقول :

إن لم يكن مني الذنوب ومنك أن ... تعفو فأين اسم العفو المطمع؟
أين الغفور؟ وأين رحمته التي ... وسعت جميع الخلق؟ أين الموسع؟!
هذا أوان العفو، فاعف تفضلاً ... يا من له تعنو الوجوه وتخشع؟[2]

٦ - جرأته في الحق :

الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى رجال تتفتؤ الشجاعة من جوانبهم ،

---

(١) انظر : الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته ص ٢٤ .
(٢) انظر : نفحات ولفحات ص ٨٨ .

يصدعون بكلمة الحق أينما كانوا ، وقد ضرب الدعاة على مر التاريخ أمثلة رائعة في قول كلمة الحق ، ولن ينسى التاريخ سعيد بن جبير ، وأحمد بن حنبل ، وابن تيمية ، وسيد قطب ، وستظل مواقف هؤلاء مصابيح هادية للدعاة على مر العصور .

ولله در «الغزالي» رحمه الله حين قال : الدعاة الموظفون لحراسة الإسلام هم جيش للدفاع عن الإيمان ، يشبه الجيش الموكل بحراسة الأمن ، فإذا لم يكن الداعية المسلم شجاعاً ، مطيقاً لأعباء رسالته ، سريعاً إلى تلبية ندائها ، جريئاً على المبطلين ، مغواراً في ساحاتهم ، فخير له أن ينسحب من هذا المجال ، وألا يفضح الإسلام بتكلف ما لا يحسن من شؤونه[1].

إن الرجال الذين جعلوا من أنفسهم خدماً لكل عرف شائع ، وقانون قائم ، ورضوا بأن يحرقوا البخور بين يدي الحكام لا ينبغي أن يكونوا في عداد الدعاة ، وهيهات هيهات أن يكونوا في صفوف العلماء .

وقد نشأ الشيخ القرضاوي من صغره على الشجاعة وقول الحق ، وقد حفظ الدعاة من شعره :

تالله ما الطغيان يهزم دعوة ... يوماً وفي التاريخ برٌّ يميني
ضع في يدي القيد ألهب أضلعي ... بالسوط ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعة ... أو نزع إيماني ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يدي ... ربي .. وربي ناصري ومعيني
سأعيش معتصماً بحبل عقيدتي ... وأموت مبتسماً ليحيا ديني[2]

---

(١) انظر : مع الله محمد الغزالي دار الثقافة للنشر والتوزيع ط ١٩٨٥ م ص ٢١١ .
(٢) انظر : نفحات ولفحات ص ٦٨ .

وللشيخ القرضاوي مواقف خالدة أبدى فيها جرأته، وأظهر فيها وجه الحق، ولا أدل على ذلك من معارضة الشيخ الظاهرة والمعلنة في أجهزة التلفاز وعلى مرأى ومسمع من الناس لمؤتمر السكان الذي أقيم في القاهرة ، وكذلك مؤتمر الدوحة الاقتصادي ، وفي برنامجه الأسبوعي في قناة الجزيرة القطرية «الشريعة والحياة» وجه إليه أحد المشاهدين سؤالاً عن رأيه في مؤتمر الدوحة الاقتصادي ومؤتمر السكان السابق بالقاهرة ، أعلنها الشيخ صراحة بأنه يعارض هذه المؤتمرات، بل أعلن الشيخ ذلك من فوق مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة وهي خطبة تذاع على الهواء مباشرة في التلفزيون القطري .

بل إن للشيخ موقفاً يُكتب بحروف من ذهب في سجل التاريخ ، وذلك حين زار شيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي الدوحة ، فعارض الشيخ هذه الزيارة من على منبر مسجده ، بل قالها صريحة: على الذين صافحوا بيريز ووضعوا أيديهم في يده أن يغسلوا هذه الأيدي سبع مرات إحداهن بالتراب ، وقد كان من بين المصافحين له أمير دولة قطر[1].

وجرأة الشيخ ظاهرة في كتبه ، واضحة في فتاويه ، بينة في كلماته ، جلية في خطبه ، واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، ولهذا كان للشيخ كما كان لغيره من الدعاة المخلصين موقفاً حازماً في أزمة الخليج ، فقد أعلن الشيخ رفضه الحازم لاحتلال العراق للكويت ، لكنه في المقابل أعلن رفضه التام للاستعانة بالجيوش الكافرة في حرب العراق .

والشيخ لا يزال متحدثاً عن موقف الحكام الضعيف المتخاذل ، تجاه مصالح الأمة، والانصياع الكامل منهم للغطرسة الأمريكية، وفي اجتماع المؤتمر الإسلامي في الدوحة عام ٢٠٠١م أعلن الشيخ أن حكام العرب والمسلمين يلعنون أمريكا بقلوبهم لكنهم لا يقدرون أن يعلنوا ذلك بأفواههم ، خوفاً على عروشهم ، وحرصاً على كراسيهم[2].

---

(١) انظر : لقاءات ومحاورات ج٢ ص ٨١ .

(٢) للمزيد من هذه المواقف راجع المبحث الخاص بموقف الشيخ «مع الحكام» من هذا الكتاب .

٧ -حافظ جيد ومناقش جريء :

السامع للشيخ في خطبه ومحاضراته ومناظراته ، يجد أن الله حباه بحافظة جيدة ، أحسن الشيخ استخدامها عند الحاجة، كما هو الحال في أسئلته التي يستفتى فيها، أو في مناظراته كذلك .

وقد ذكر الشيخ في مذكراته أن أحد المدرسين دخل حصة عليهم فكتب ثلاثة أبيات لابن زيدون يقول فيها :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع ... سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع

يا بائعاً حظه مني ولو بذلت ... لي الحياة بحظي منه لم أبع

ته أحتمل، واستطل أصبر، وعز أهن ... وول أقبل، وقل أسمع، ومر أطع

ثم مسح المدرس الأبيات وسأل الطلاب من حفظ الأبيات الثلاثة، فوجد من حفظ بيتاً أو اثنين، ولم يكن أحداً حافظاً للثلاثة أبيات سوى الطالب يوسف، ثم كتب المدرس أربعة أبيات أخرى فكان الطالب يوسف حافظاً لها[١].

ولكن الشيخ جعل حفظه لما له فائدة ، أما ما يرى أنه لا فائدة منه فيقول: لا أحسن حفظ ما لا أشعر أني بحاجة إلى حفظه.

ولعل القارئ لمذكرات الشيخ يرى هذه الذاكرة الحديدية ـ ما شاء الله ـ التي جعلته يتذكر أحداثا مرات عليها السنون والسنون، والشيخ يكتب عنها كأنها حدثت بالأمس القريب[٢].

وقد استفاد الشيخ من هذه الذاكرة الجيدة التي رزقه الله إياها ، وكانت سلاحاً من أسلحته ، إن اعترضه أحد ، أو ناقشه معارض ، فتراه حاضر الحجة ، سريع البديهة ، مليء الجعبة ، لا يتلعثم ولا يتلكأ ، وقد حدث أن الشيخ كان

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج ١ ص ٢٠٩. ٢١٠ .

(٢) صدر من مذكرات الشيخ ثلاثة أجزاء، وقلت للشيخ يوما: متى ستبدأ إن شاء الله في الجزء الرابع، فأحداثه قريبة العهد، فقال: هذه أبعد الأحداث عن الذهن، وكأني لا أذكر منها شيئا إلا القليل.

يتحدث يوماً في أحد المساجد وكان حديثه في ليلة السابع عشر من رمضان عن غزوة بدر ، وتقبل الجمهور محاضرة الشيخ إلا واحداً هو إمام المسجد فقال للشيخ: حديث عظيم يا أستاذ ، ولكن أما كان من الأنفع أن يتعلم الناس شيئاً من أمور دينهم ؟

قال الشيخ : وسيرة رسول الله ﷺ وغزواته أليست من أمور دينهم ؟

فقال إمام المسجد : أقصد أن يتعلموا كيفية الوضوء والغسل ويعرفوا شروط ذلك وواجباته وسننه .

قال الشيخ : يا سيدي الشيخ في كم آية ذكر الله شؤون الوضوء والغسل وما بينهما من أمور الطهارة ؟ إنها آية واحدة جمعت ذلك كله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ... ﴾ [المائدة: ٦]. وآية أخرى تناولت الموضوع في سورة النساء، ولكن في كم سورة ذكر الله شأني الجهاد والقتال في سبيل الله؟ وسكت إمام المسجد، فقلت: إن عندنا مجموعة من السور القرآنية توحي أسماؤها وحدها بموضوعها – وهو الجهاد – منها : الأنفال ، والتوبة ، والأحزاب ، والفتح ، والصف ، والحشر ، والحديد ، والعاديات ، والنصر [1].

ومن المواقف الجريئة التي أظهر فيها الشيخ جرأته في النقاش في الحق ما كان له مع أحد مدرسيه وهو الشيخ محمود الدفتار ، مدرسه في المرحلة الثانوية، وكان الرجل ذا نزعة صوفية يقول الشيخ : كان الشيخ محمود من أحباء السيد البدوي والمدافعين عنه، وقد اجترأت مرة وناقشته في أن الأضرحة التي تقام للأولياء ليست على منهج السنة، وأن النبي ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور والصلاة عليها، كما نهى عن إضاءتها ، ودخلت مع الشيخ في مناقشة، وقال لي : أيهما أولى : أن تصلي قرب الميضأة أم تصلي بجوار الضريح؟ قلت له : أن أصلي قرب الميضأة ، فنهرني بشدة ، وقال لي : أنت وهابي تبغض الأولياء.

---

(١) انظر : العبادة في الإسلام ص ٣٢٦ .

قلت له : أنا أقول ما درسته في هذا المعهد في (صفوة صحيح البخاري) فأسكتني وأغلق المناقشة .

وفي مرة أخرى ، كان الشيخ يشرح لنا(باب الأضحية) وما لها من فضل أغفله أكثر الناس ، أو قلت قدرتهم على القيام به . وهنا تدخلت وقلت له : يا فضيلة الشيخ : إن كثيراً من الناس يذبحون للبدعة ، ولا يذبحون للسنة . قال لي : كيف يذبحون للبدعة ؟ قلت : عندنا في قريتنا وفي غيرها من القرى أناس كثيرون ينذرون خرافهم لتذبح في مولد السيد، وهذه بدعة ، ولا يذبحون يوم عيد الأضحى ، وهي سنة ، ولو أن العلماء قاموا بواجبهم ، ونبهوا الناس على ذلك ، لأحيينا السنة وأمتنا البدعة. فغضب الشيخ وقال لي : اخرج من الفصل[1].

٨ - همة عالية :

علو الهمة صفة يعرف بها العظام من الرجال ؛ خصوصاً من يروم منهم إصلاح أمة ، أو مقاومة عدو ، وقد أحسن الشاعر حين قال :

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

وأحسب أن الشيخ القرضاوي ـ والله حسيبه ـ من هذا النوع ، إن آمال الشيخ وطموحاته تفوق طاقاته وقدراته ، ولكنه مع هذا يصارع الزمن ، وكثيراً ما يتمثل بقول أبي الطيب :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

وكأنّ أبي الطيب يخاطب القرضاوي يوم أن قال :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٢٠٢ .

والمتابع لنشاط الشيخ منذ عقده الثالث إلى العقد الثامن يرى إنساناً ذا همة عالية ؛ كلما وصل إلى شيء تطلع إلى ما هو أكبر منه ، ولعل نشاط الشيخ كتابةً وخطابةً وشعراً ونثراً ، وإذاعة وتلفزة ، أكبر دليل على ذلك .

وكان من كلام الشيخ: ينبغي على المسلم أن يكون طامحاً إلى المعالي أبداً ولا يرضى بالدون [1].

أقول ومن خلال معايشتي للشيخ - وهي فترة قصيرة - أقول: إن همة الشيخ الآن وهو ابن الثمانين، تفوق همم أمثاله وهم أبناء الثلاثين أو الأربعين.

٩- عفة اللسان :

صفة ينبغي أن تكون ملازمة للدعاة إلى الله تعالى ، ودعاة الإسلام الحق ألزم ما يكونوا بهذه الصفة ، وقد ضرب لنا النبي ﷺ المثل الأعلى في ذلك، فما كان ﷺ لعاناً ولا فاحشاً ولا بذاءً.

ويشهد المقرّبون من الشيخ وغيرهم: أن الشيخ عف اللسان حتى مع خصومه ، وهو مع المخالفين حريص على هذه الصفة ، وما رأيت الشيخ في كتاباته وخطبه ومحاضراته خرج عن هذه الصفة إلا في القليل النادر ، وربما كان للشيخ في ذلك العذر، حيث إنه في هذا القليل: إنما يقرر واقعاً ، ويؤكد شيئاً ملموساً ظاهراً.

ومن ذلك كلامه في وصف حمزة البسيوني: ضابط مأفون يحمل في صدره قلب وحش ، وفي يده كرباج جلاد ، وبين فكيه لسان «شرشوح»، لا دين له ولا خلق [2].

وقال : هو الذي كان يحمل وجه خنزير، وقلب وحش، وأنياب كلب عقور[3].

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج٢ ص ٢٠٦ .
(٢) انظر : نفحات ولفحات هامش ص ٥٧ .
(٣) انظر : ابن القرية والكتاب ج٢ ص ٢٥٢.

وفي رد الشيخ – حفظه الله – على جماعة الأحباش جعل عنوان رده «جدال بلا علم، ، وتطاول بلا أدب»[1].

والشيخ في هذا يؤكد الواقعية التي عرف بها الإسلام، وعاش بها الشيخ، وفي هذا يقول الشاعر العربي :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمي فإني مقوم ... ومن رام تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خدناً وصاحباً ... ولكنني أرضى به حين أحرج

والحق أن الشيخ في رده على المتطاولين عليه ، أو نقده للمخالفين ، لا يخرج بأي حال من الأحوال عن الرد العلمي ، والنقد البناء [2].

وأضرب هنا مثالاً واقعياً لرد الشيخ على بعض المتطاولين عليه وهم «جماعة الأحباش» حيث شنعوا بالشيخ في كل مكان وكالوا له بما تشتهيه أنفسهم من السب والشتائم، لكن الشيخ حين رد عليهم كان جامعاً لواقعية الإسلام التي تبيح رد العدوان ، ومع هذا لم يخرج عن الحد المشروع ، ولم يخرج قلمه حتى وهو غاضب عن العفّة المعهودة له .

وهنا أنقل جزءاً من رد الشيخ على هؤلاء حيث يقول :

منذ سنوات سمعت بجماعة ظهرت في لبنان، أزعجت جماهير المسلمين هناك بأقوال شاذة، واتجاهات منحرفة، وآراء خطيرة، في مجالات العقيدة والفقه والسلوك، وأشد من ذلك خطرا: تكفير كل من يخالفهم من المسلمين، من المحدثين أو من القدماء.

ولقد توقفت في شأنهم أول الأمر، ولم أصدق ما سمعت عنهم، وكففت لساني وقلمي عنهم، فلم أمسهم بكلمة، حتى حصحص لي الحق، وتبين

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج٣ ص ٦٨٥ .

(٢) للزيادة في هذا الموضوع راجع ما ذكرته تحت عنوان « الإنصاف» من هذا الكتاب .

الصبح لذي عينين، وأصبحت دعاواهم معروفة هنا وهناك، فلم يسعني السكوت، ومسستهم في بعض كتبي الأخيرة مسا رقيقا، ونقدتهم نقدا خفيفا، وأجبت في بعض المؤتمرات عمن سالني عن بعض أقوالهم الشاذة، مثل إباحة التدخين بإطلاق، وإباحة الاختلاط بلا قيود، وغير ذلك، مبينا خطأهم في اجتهاداتهم هذه، دون أن أرميهم بكفر أو فسوق، فليس هذا من طريقتي.

وكان هذا النقد الهين اللين أصاب منهم مقتلا، فهاج هائجهم، وجن جنونهم، فجاءوا بقضهم وقضيضهم، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم، في غفلة من الزمن، يريدون أن يشوشوا على البرنامج الإسلامي العالمي الذي شرق وغرب (الشريعة والحياة) في قناة الجزيرة في قطر، وصوبوا سهامهم من كل صوب، يحاولون أن ينالوا من البرنامج العتيد وصاحبه، ناسين قول الشاعر قديما:

يا ناطح الجبل العالي ليوهنه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل!

ولما لم تجد هذه المناطحات للجبل شيئا إلا بطح رؤوسهم، أرسلوا إلى مدير قناة الجزيرة، يطلبون إقامة مناظرة بيني وبينهم، ولو أني قبلت هذا المبدأ لأحلتهم على بعض تلاميذ تلاميذي، ليناظروهم، ولكن هؤلاء أقل وأذل من أن يناظروا، وليس لهم وزن علمي يسمح لهم بدخول حلبة مناظرة، حتى مع أصغر التلاميذ.

وكما يقول العرب في أمثالهم: على نفسها جنت براقش! فهم الذين جنوا على أنفسهم، وأشعلوها معركة على كل صعيد، جندوا لها جنودهم، وحشدوا لها جهودهم، وستحرقهم نارها إن شاء الله. فقد قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ** ﴾ [فاطر:٤٣]. ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم** ﴾ [يونس:٢٣] ومن سنن الله: أن على الباغي تدور الدوائر، والبغي في مرتعه وخيم.

ساحاربهم وحدي مستعينا بربي، ثم بقلمي ولساني، وسأفضح سرهم، وأكشف سترهم، والشر بالشر يحسم، والبادئ أظلم.

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم؟
متى تحمل القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المراغم

وأنا - بحمد الله تعالى- أحمل القلب الذكي، والأنف الحمي، وصارمي هو قلمي الذي جندته للحق طول عمري، وسيظل للحق حتى الممات بإذن الله.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] (١).

١٠ ـ تواضعه :

ضرب النبي ﷺ في حياته كلها أروع الأمثلة للتواضع، وقد دلت سنته ﷺ القولية والفعلية على حقيقة هذا الخلق وفضله، ومن كلامه ﷺ : «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٢). ويقول ﷺ : «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»(٣).

ومن بديع كلام أبي يوسف رحمه الله : يا قوم أريدوا بعلمكم الله، فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح.

وقد أحسن الشاعر حين قال :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضيع

يقول ابن عطاء الله موضحاً حقيقة التواضع : ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ؛ ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع (٤).

وقد اتخذ الشيخ القرضاوي رسوله ﷺ قدوة حسنة، وضرب مثلاً رائعاً

---

(١) انظر: فتاوى معاصرة ج٣ ص٦٨٥ ـ ٦٨٩ بتصرف.
(٢) رواه مسلم في البر والصلة رقم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة.
(٣) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار أخي بني مجاشع.
(٤) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية ص ٥٤.

في التواضع ، يقر له بذلك كل من راءه ، بل إن من يزره في مكتبه في جامعة قطر، يرى مكتباً يظنه الداخل أنه خاص بخريج حديث التخرج ، وأذكر أنني زرت الشيخ مرة في مكتبه وكان الفصل شتاءً، فأمطرت السماء، فرأيت الماء يتخلل بعض أماكن المكتب .

ومن تواضع الشيخ اعترافه بماضيه وشدته، بل وفقره وحاجته ، وهو يعلن ذلك على الملأ ، ولا يتنكر من هذا الماضي ، ولذلك لما كان في حفل تسليم جائزة العام الإسلامية فيقول وهو يذكر أصحاب الفضل عليه : وأذكر الشيخ «حامد أبو زويل» معلمي في الكتاب ، ومحفظي القرآن الذي كان يعاملني معاملة خاصة ويسامحني إذا عجزت عن دفع نصف القرش الأسبوعي [١].

ويقول أيضاً : أذكر أننا ونحن طلاب في المعهد الديني بمدينة طنطا ، كثيراً ما كانت تنفد منا النقود، قبل أوانها المحدد، فنعيش على الخبز والملح أياماً. وفي مرة من المرات نفد الخبز نفسه ، ولم يبق من «الزوادة» إلا «الفرافيت» فظللنا نأكل منها أياماً ، وكنا مجموعة نسكن متجاورين ، وكلنا عاش على هذه «الفرافيت» [٢].

ويقول أيضاً بتواضعه الجم عن حاله في المعتقل ويذكر موقفاً مع الأستاذ «عبد الحكيم عابدين». فيقول : رآني الأستاذ «عابدين» يوماً أنتفض من البرد ولم يكن علي من الألبسة الصوفية ما يتدثر به الموسرون عادة ، فأهداني من عنده ما يسمونه «بلوفر» رصاصي اللون ، لأتدفأ به ، وهذه أول مرة ألبس فيها هذا النوع من الثياب [٣].

ولهذا لما أراد الشيخ أن يكتب مذكراته اختار لها اسماً يدل على تواضعه،

---

(١) انظر : الشيخ القرضاوي شخصية العام الإسلامية ص ١٣٧ .
(٢) انظر : شخصية العام الإسلامية ص ١٤٠
(٣) انظر : مذكرات الشيخ ج٢ حلقة ١ .

فلم يتنكر لقريته ، ولم ينسى أنه ابن الكُتّاب ، وأراد أن ينسب نفسه إلى القرية والكُتّاب ، وهذا نعم النسب .

وأذكر أنني حضرت نقل مكتبة الشيخ من بيته القديم إلى بيته الجديد ، فوجدت الشيخ قمة في التواضع ، فهو يجالس هذا ، ويضاحك هذا ، على صغر سن الحضور ، ولما حضر الطعام جلس الشيخ وسط الحضور كأنه واحد منهم، يشاركهم طعامهم كما شاركهم العمل .

١١ - رجوعه للحق :

ولقد عرف الشيخ برجوعه إلى الحق إن صح الدليل ولم يكن في يوم من الأيام متمادياً في باطل[١].

١٢ - قبوله للخلاف :

وقد جعلت هذه الصفة مسك الختام؛ فهي صفة ملازمة للشيخ، يرفع بها صوته، ويخط قلمه، وتدبج كتبه، وتتحدث بها خطبه، ويتزين بها فقهه، وتدندن حولها أصوله وتلوح بها مرتكزات دعوته[٢].

* * *

(١ ، ٢) سوف نعرض لهاتين الصفتين بالتفصيل عند حديثنا عن: خصائص المنهج الدعوي لدى الشيخ.

obeikandl.com